المستشرقون من أصل عربي: المستشرق جورج مقدسي: منهجه وآراؤه- أنموذجا

Orientalists of Arab origin: the orientalist George Makdisi: his approach and views - a model

إعداد

د/ صالح بن عبدالله بن مسفر الغامدي

الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية الدعوة وأصول الدين- جامعة أم القرى

ا

المستشرقون من أصل عربي: المستشرق جورج مقدسي: منهجه وآراؤه- أنموذجا

صالح بن عبدالله بن مسفر الغامدي

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية - كلية الدعوة وأصول الدين- جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية .

البريد الإلكتروني : saalghamdy@uqu.edu.sa

الملخص :

عنوان هذا البحث هو: المستشرقون من أصل عربي: المستشرق جورج مقدسي: منهجه وآراؤه -أنموذجا. ويهدف البحث إلى بيان منهج المستشرق جورج مقدسي في الدراسات المقارنة بين الشرق والغرب، والكشف عن مراجعات جورج مقدسي النقدية للآراء الاستشراقية، وإلى عرض نماذج لبعض آرائه ونقدها. وقد سلكت فيه المنهجين الاستقرائي والتحليلي، وقسمته إلى ثلاثة مباحث، الأول عن منهج جورج مقدسي في الدراسات المقارنة بين الشرق والغرب، والثاني عن مراجعة جورج مقدسي النقدية للآراء الاستشراقية، والثالث كان وقفات نقدية مع بعض آراء جورج مقدسي. وقد خلصت من البحث إلى عدة نتائج، أبرزها: أن جورج مقدسي مال من خلال بحثه التاريخي المقارن إلى تأثر الحضارة الغربية بالحضارة الإسلامية في القرون الأولى في ميداني التعليم والآداب (الإنسانية). وأن مقدسي مال بشكل كبير إلى المذهب الحنبلي ودافع عنه. وأنه وقع في أخطاء علمية عديدة لأسباب متنوعة.

الكلمات المفتاحية: جورج مقدسي، المستشرقون، المذهب الحنبلي، الحضارة الإسلامية، الحضارة الغربية

Orientalists of Arab origin: the orientalist George Makdisi: his approach and views - a model

Saleh Abdullah Alghamedy
Department of Da'wah and Islamic Culture - College of Da'wah and Fundamentals of Religion - Umm Al-Qura University - Kingdom of Saudi Arabia.
Email :saalghamdy@uqu.edu.sa

Abstract :
The title of this research is: Orientalists of Arab origin: the orientalist George Makdisi: his approach and views - a model. It aims to explain the approach of the orientalist George Makdisi in comparative studies between the East and the West, to reveal George Makdisi's critical reviews of Orientalist views, and to present examples of some of George Makdisi's opinions and criticism of them. I took the inductive and analytical approaches, and divided it into three sections. The first was about George Makdisi's approach to comparative studies between the East and the West, the second was about George Makdisi's critical review of Orientalist views, and the third was critical pauses with some of George Makdisi's opinions. I concluded several results from the research, the most prominent of which is: George Makdisi, through his comparative historical research, pointed out the influence of Western civilization on Islamic civilization in the first centuries in the fields of education and literature (humanism). Maqdisi leaned greatly towards the Hanbali school of thought and defended it. He made many scientific errors for various reasons.

Keywords: George Maqdisi, Orientalists, Hanbali Doctrine, Islamic Civilization, Western Civilization

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد المرسلين، سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وارض اللهم عن صحابته الطيبين، ومن اهتدى بهديه، وسلك نهجه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن من الأهمية بمكان العناية بدراسة نتاج المستشرقين وتمحيصه بصورة علمية، ليظهر لنا الصحيح منها من الباطل، ولنجتهد في رد الباطل وبيان زيفه ومخالفته لأمر الإسلام أو لواقع المسلمين. وما ذاك إلا للأهمية الكبرى لآراء المستشرقين عن الإسلام والمسلمين في الغرب، التي تنعكس بطبيعة الحال على علاقاتهم في كل المجالات مع الإسلام والمسلمين.

وما لا شك فيه أن كثيرا من المستشرقين –خاصة في القرن التاسع عشر الميلادي– قد أجحفوا بشكل عام في رسم صورة الإسلام والمسلمين. إلا أن هناك بعض المستشرقين، ممن قادتهم الأمانة العلمية، قد أنصفوا الإسلام والمسلمين في نتاجهم العلمي وأبحاثهم.

وفي هذه الدراسة سأتناول أحد المستشرقين المعاصرين من أصول عربية، وهو جورج مقدسي، لأقف مع نتاجه العلمي الكثير والمتنوع، الموزع ما بين تحقيق مخطوطات وتأليف كتب ونشر أبحاث، بشكل علمي وموضوعي. وقد سميت هذا البحث: **المستشرقون من أصل عربي: المستشرق جورج مقدسي: منهجه وآراؤه –أنموذجا.**

وبما أن البحث يتصل بفحص منهج هذا المستشرق وآرائه فقد حرصت على إيراد أكبر قدر ممكن من نصوصه، التي يبين معها هذا الأمر. وبالله التوفيق.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تكمن أهمية البحث في أنه يتعلق بمستشرق من أصول عربية (جورج مقدسي) له آراؤه الكثيرة التي بثها في كتبه وأبحاثه، وله جهوده في تحقيق عدد من المخطوطات.

أما عن أسباب اختيار هذا الموضوع للدراسة فيمكن إجمال أبرزها في الآتي:

١. الإسهام في دراسة المستشرقين الذين لهم أثرهم العلمي في الغرب.
٢. الحاجة إلى معرفة آراء المستشرق جورج مقدسي، ونقدها –عند الحاجة– بميزان علمي.
٣. الحاجة العلمية والفكرية لمثل هذه الأبحاث التي تخدم بمجموعها الحفاظ على الثقافة الإسلامية، وتعزيز مكانتها عندنا وعند الآخرين.

وأرجو أن يكون هذا البحث إضافة علمية جديدة في موضوع الثقافة الإسلامية والحفاظ عليها.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في محاولة النظر بموضوعية وعلمية إلى نتاج المستشرق (من أصول عربية) جورج مقدسي، حيث يُعد من المستشرقين الكبار الذين لهم إسهامات علمية كثيرة. لنقف على حقيقة إنصافه للحضارة الإسلامية، ولنقف أيضاً على طبيعة منهجه العلمي وآرائه الكثيرة التي بثها في كتبه وأبحاثه.

أهداف البحث

تتلخص أهداف البحث في الآتي:

١. بيان منهج المستشرق جورج مقدسي في الدراسات المقارنة بين الشرق والغرب.
٢. الكشف عن مراجعات جورج مقدسي النقدية للآراء الاستشراقية.

٣. عرض نماذج من آراء جورج مقدسي التي أخطأ فيها.

الدراسات السابقة:

لم يطلع الباحث فيما بين يديه من المصادر والمراجع على أطروحة علمية أو بحثية تناولت عرض منهج وآراء المستشرق جورج مقدسي بصورة علمية شاملة. وهناك بعض الأبحاث التي تناولت جوانب من آراء جورج مقدسي، ومنها:

أولاً: بحث بعنوان: النقد الذاتي للخطاب الاستشراقي، جورج مقدسي نموذجا، لمحمد مجدي السيد مصباح، ونشر في مجلة دراسات استشراقية، لبنان، في خريف ١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م. وقد تناول فيه الباحث موقف جورج مقدسي النقدي (سلباً وإيجاباً) من آراء المستشرقين الآخرين، ولم يتناول فيه منهج جورج مقدسي من الحضارة الإسلامية، أو أطروحاته الفكرية الأخرى.

ثانياً: بحث بعنوان: قراءة جورج مقدسي لتيولوجيا الشافعي الفقهية، لحمّادي ذويب، نشر مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ٢٠١٧م. وفي هذا البحث أيضاً تناول الباحث آراء جورج مقدسي المتعلقة بالإمام الشافعي –رحمه الله–، ولكنه لم يتناول فيه منهج جورج مقدسي من الحضارة الإسلامية، أو أطروحاته الفكرية الأخرى. ولعلي في هذا البحث أضيف شيئاً علمياً مفيداً في هذا الموضوع.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي لتتبع آراء جورج مقدسي، وكذلك المنهج التحليلي، لفحص آرائه، وهذا المنهج الذي يقوم على: التفسير، والاستنباط، والنقد. وقد تجتمع هذه الثلاث في مبحث واحد أو في مسألة واحدة، وقد أستعمل بعضها فقط في بعض المباحث والمسائل، وذلك بحسب الحاجة العلمية في هذا البحث.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمـــة: بهـا أهميـة الموضـوع وأسـباب اختيـاره، ومشـكلة البحـث وأهدافه، والدراسات السابقة، ثم منهج البحث وخطته.

التمهيد: ويشتمل على الآتي:

أولاً: التعريف بالاستشراق والمستشرقين

ثانياً: التعريف بالمستشرق جورج مقدسي

المبحث الأول: منهج جورج مقدسي في الدراسات المقارنة بين الشرق والغرب.

المبحث الثاني: مراجعة جورج مقدسي النقدية للآراء الاستشراقية

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: نقد جورج مقدسي لبعض الآراء الاستشراقية عن المذهب الحنبلي

المطلب الثاني: نقد جورج مقدسي لآراء استشراقية متفرقة

المبحث الثالث: عرض لبعض أخطاء المستشرق جورج مقدسي

الخاتمة: وبها النتائج والتوصيات.

التمهيد

أولاً: تعريف الاستشراق والمستشرقين

مصطلح الاستشراق هو تعريب لكلمة Orientalism بالإنجليزية، أو Orientalisme بالفرنسية، وهو مصطلح حديث في الغرب، يقول أحمد سمايلوفتش: «كلمتي "الاستشراق" و"المستشرق" علمياً حديثتا العهد نسبياً في الإنجليزية والفرنسية، إذ تبنتها الأولى حوالي عام ١٧٧٩م وتبنتها الأخرى حوالي عام ١٧٩٩م، واعترفت بهما الأكاديمية الفرنسية المشهورة بالحيطة في إدخال الكلمات الجديدة إلى اللغة الفرنسية فأدخلتها إلى معجمها المشهور عام ١٨٣٨م».(١)

ومصطلح الاستشراق كذلك لم يرد في معاجم اللغة العربية القديمة، وأما في الحديثة فقد جاء -على سبيل المثال- في معجم متن اللغة: «استشرق: طلب علوم أهل الشرق ولغاتهم (مولدة عصرية)، يقال لمن يُعنى بذلك من علماء الفرنجة».(٢)

وقد تعددت تعريفات الاستشراق وتنوعت، وذلك لأن الاستشراق واسع الحدود والمعالم، أو بحسب الخلفية الفكرية لمعرِّف الاستشراق، فيرى إدوارد سعيد (ت ٢٠٠٣م) أن الاستشراق يُعد: «أسلوباً غربياً للهيمنة على الشرق، وإعادة بنائه، والتسلط عليه»(٣)، ويرى محمد الجليند أن الاستشراق هو «تلك

---

(١) سمايلوفتش، أحمد، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**، ط بدون، ت بدون، ص٢٦.

(٢) رضا، أحمد، **معجم متن اللغة: موسوعة لغوية حديثة**، دار مكتبة الحياة ببيروت، ط بدون، ١٣٨٠هـ -١٩٦٠م، ٣/٣١٠، مادة "ش ر ق".

(٣) سعيد، إدوارد، **الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق**، ت: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٦م، ص٤٥-٤٦

المحاولة التي قام ويقوم بها بعض مفكري الغرب للوقوف على معالم الفكر الإسلامي وحضارته وثقافة الشرق وعلومه»[١]، وأما علي النملة فيعرفه تعريفاً اجرائياً بأنه «انشغال غير المسلمين بعلوم المسلمين»[٢]، وعرف عدنان الوزان الاستشراق بأنه: «مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة، ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة» [٣]، وعرفت الموسوعة العربية العالمية الاستشراق بأنه: «حقل معرفي وإبداعي ضخم نشأ في الغرب (أوروبا وأمريكا الشمالية) لدراسة الثقافات الشرقية (الآسيوية غالباً) وتمثلها في الفنون المختلفة».[٤]

وأما مصطلح المستشرقين، فهو تعريب لكلمة Orientalist، ويرى جان واردنبرغ –في تعريفه للمستشرقين في موسوعة الإسلام "الإصدار الثاني"– بأنهم «العلماء الثقات في الدين الإسلامي، وفي المجتمعات والثقافات الإسلامية تحديدا» [٥]، ويقول محمد الجليند في تعريفه لهم: «أطلق لفظ مستشرق على المفكرين المشتغلين بدراسة علوم الشرق وتاريخه

(١) الجليند، محمد السيد، **الاستشراق والتبشير: قراءة تاريخية موجزة**، دار قباء للطباعة والنشر–القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٠

(٢) النملة، علي، **المؤلف الموسوعي نجيب العقيقي وكتابه "المستشرقون"**، بيسان–بيروت، ط١، ١٤٤٣هـ، ٤١

(٣) الوزان، عدنان محمد، **الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر**، ط بدون، ت بدون، ص١٥.

(٤) **الموسوعة العربية العالمية**، مادة (الاستشراق)، موقع الموسوعة: www.mawsoah.net

(٥) واردنبرغ، جان دي جاك، **المستشرقون**، ت: أنيس عبدالخالق محمود، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠١٤م، ص١٣

وحضارته وأوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية».[١]

وأما عن تحديد نطاق المستشرقين، فبعض الباحثين يرى أنه الغربي غير المسلم فقط، والبعض الآخر يُدخل فيه أيضاً الشرقي غير المسلم المشتغل بدراسة الشرق، ومثال من ذهب في الاتجاه الأول إسماعيل علي محمد، الذي يقول عنهم في تعريفه للاستشراق: «والمستشرقون هم قوم من غير الشرقيين أو هم الغربيون الذين تخصصوا في دراسة الشرق من كافة جوانبه؛ علومه، تاريخه، أديانه، شعوبه، لغاته وآدابه..إلخ، لأهداف مختلفة ودوافع شتى».[٢]

وأما علي النملة فيدخل الشرقيين المشتغلين بدراسة الشرق من غير المسلمين في مسمى المستشرقين، فقال عن الاستشراق بأنه: «ظاهرة محددة بدراسة علوم المسلمين من غير المسلمين، بغض النظر عن الوجهة التي ينطلق منها المستشرق، سواء أتى من الغرب أم من الشرق».[٣]

والاستشراق مرَّ بتطور في آرائه وأفكاره، فلا يمكن القول بأن استشراق اليوم هو نفسه استشراق القرن التاسع عشر الميلادي. يقول نجيب العقيقي: «ولما خرجت الولايات المتحدة من عزلتها إلى العالم اهتمت كبري جامعاتها –وعدد الجامعات الأمريكية اليوم ١٣٠٠ بين حكومية وخاصة– بحضارات وديانات آسيا وأفريقيا. فأعدت جامعة كولومبيا، بالاتفاق مع ثمانية عشر معهداً وجامعة، منهجا شرقياً حديثاً– تسهم الحكومة في نصف نفقاته–

(١) الجليند، محمد السيد، **الاستشراق والتبشير: قراءة تاريخية موجزة**، ص١٠

(٢) محمد، إسماعيل علي، **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل: مدخل علمي لدراسة الاستشراق**، دار الكلمة، ط٣، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م، ص١١.

(٣) النملة، علي، **المستشرقون ونشر التراث**، ط بدون، الرياض ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م، ص١٥.

لتدريس لغات الشرق الأوسط وآسيا وأفريقيا، فأصبح عدد الجامعات والمعاهد المعنية بالعربية ١٦، وبالفارسية ٥، وبالتركية ٥، وبالأندونيسية ٤، وواحدة بالأردية (١٩٥٦) ثم أعدت برامج عن الشرق الأوسط درست في ٢١ جامعة وكلية (١٩٦٢ – ٦٣) ثلثا أساتذتها أجانب بينهم لبنانيون: كالدكتور شارل مالك، ثم الدكتور جورج مقدسي في جامعة هارفارد، والدكتور منصور في جامعة ويسكونسن. والدكتور جورج حوراني أستاذ العلوم الإسلامية بقسم دراسات الشرق الأدنى في جامعة ميتشيجان، والدكتور شرابيه مصنّف كتاب حكومات الشرق الأوسط وسياسته في القرن العشرين (١٩٦٢) والدكتور عزيز عطية رئيس مركز الشرق الأوسط في جامعة أوتاه، والأستاذ إيلي سالم في جامعة جونز هوبكنز (١٩٥٧ – ٦٣)».[١]

ويشير المستشرق مكسيم رودنسون (ت ٢٠٠٤م) إلى أن الاستشراق بعد منتصف القرن العشرين بات أكثر وعياً وقدرة على النقد الذاتي فكرياً وسياسياً.[٢]

ويؤكد ساسي الحاج بأن أمريكا استعانت بالعديد من العرب والشرقيين لتدريس اللغة العربية، ومنهم من تجنس بالجنسية الأمريكية مثل فيليب حتي وعفيف طنوس والدكتور نوفل وغيرهم.[٣]

وتشير أمل شموني بأنه في جامعة ميتشجان ترأس جورج كامرون عام ١٩٤٨م قسم الشرق الأوسط، وسعى إلى تطوير الدراسات العربية

---

(١) العقيقي، نجيب، **المستشرقون**، دار المعارف–القاهرة، ط٤، ٣/١٢٠–١٢١

(٢) ينظر: الوهيبي، عبدالله عبدالرحمن، **حول الاستشراق الجديد**، مركز البحوث والدراسات–القاهرة، ط١، ١٤٣٥هـ، ص٤٧–٤٨

(٣) ينظر: ساسي، سالم الحاج، **نقد الخطاب الاستشراقي: الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية**، دار المدار الإسلامي–بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ١/١٥٤

والعبرية والفارسية وغيرها، ومثَّل جورج حوراني وإرنست ماكريوس وجورج مقدسي الرعيل الأول من المدرسين الذي حملوا مشعل تدريس اللغة العربية الفصحى، وتدريس الدراسات العربية والإسلامية.(١)

ثانياً: التعريف بالمستشرق جورج مقدسي

ولد جورج أبراهام مقدسي George Abraham Makdisi في ديترويت بولاية ميتشجان بالولايات المتحدة الأمريكية في ١٥/٥/١٩٢٠م، وتزوج ورزق ستة أبناء، وأدى الخدمة العسكرية في الجيش الأمريكي في أوروبا (١٩٤٢-١٩٤٥م)، ونال الدكتوراه في الآداب من جامعة باريس-السوربون عام ١٩٦١م. وعمل مساعد أستاذ لدراسات الشرق الأدنى في جامعة ميتشجان (١٩٥٣-١٩٥٧م)، واستاذاً معاوناً فيها (١٩٥٧-١٩٥٩م)، ومحاضراً للغات السامية في جامعة هارفارد (١٩٥٩-١٩٦١م)، وأستاذاً للعربية فيها (١٩٦١-١٩٧٣م)، وأستاذاً في كرسي الدولة بمعهد فرنسا لإلقاء محاضرات عن إسلام الحنبلية (١٩٦١م)، ثم أستاذاً للعربية والدراسات الإسلامية في جامعة بنسيلفانيا (١٩٧٣م) (٢)، وحصل على زمالة جوجنهايم عامي ١٩٥٧م و ١٩٦٦م.(٣)

وتعود جذور أسرة جورج مقدسي إلى القدس، إلا أنها هاجرت إلى شمالي لبنان واستقرت في بلدة حلبا. وقد هاجر والده "أبراهام مقدسي" مصطحباً زوجته وأولاده إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩١٣م،

(١) ينظر: شموني، أمل، أمريكا تتكلم العربية، **مجلة هاي (hi)**- واشنطن، فبراير ٢٠٠٤م، ص٣٢

(٢) ينظر: العقيقي، نجيب، **المستشرقون**، ١٨٦/٣-١١٨٩

(٣) ينظر: **موقع مؤسسة جوجنهايم**-https://www.gf.org/fellows/george-makdisi/

واستقر بمدينة ديترويت بولاية متشيجان، حيث ولد هناك جورج مقدسي، وهناك تلقى تعليمه الأولي قبل أن تقرر أسرته العودة إلى لبنان عام ١٩٣٠م، حيث هناك بقيت إلى عام ١٩٣٧م، وفي تلك السنوات السبع تعلم جورج مقدسي اللغة العربية، وأحب الأدب الفرنسي، حيث كانت لبنان حينها تحت الانتداب الفرنسي، وأحب شعر المتنبي وغيره من الشعراء، الأمر الذي أضاف شيئاً جديداً إلى ثقافته. (١)

وفي فرنسا –أثناء دراسته للدكتوراه– ربطته علاقة كبيرة بثلاثة من المستشرقين، وهم أستاذه لويس جارديه (ت ١٩٨٦م)، ولويس ماسينيون (ت ١٩٦٢م)، وأستاذه الذي أشرف عليه في رسالة الدكتوراه هنري لاووست (ت ١٩٨٣م).

وكان ماسينيون هو الذي أشار على جورج مقدسي بدراسة ابن عقيل الحنبلي. وطلب مقدسي من ريجيس بلاشير (ت ١٩٧٣م) أن يكون مشرفاً عليه، ولكن بلاشير لم يتحمس لموضوع ابن عقيل، ونصحه بالتحدث إلى هنري لاووست؛ لأن فكرته عن ابن عقيل أقرب إلى تخصص لاووست. ومن هنا بدأت علاقة جورج مقدسي وتوطدت مع هنري لاووست المتخصص في دراسات المذهب الحنبلي وأهل الحديث خاصة(٢)، الأمر الذي أثر على مقدسي وجعله من المشتغلين بهم طيلة حياته العلمية.

وقد توفي جورج مقدسي في ٢٠٠٢/٩/٦م، عن عمر ناهز ٨٢ سنة.

ولجورج المقدسي كثير من الأعمال العلمية، وسأورد فيما يلي أعماله

---

(١) ينظر: مقدسي، جورج، **نشأة الإنسانيات عند المسلمين وفي الغرب المسيحي**، ت: أحمد العدوي، مدارات للأبحاث والنشر– القاهرة، ط١، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م، ص٣٦–٣٧

(٢) المرجع السابق، ص٣٨

التي بالعربية، وكذلك التي تم ترجمتها إلى العربية[١]:

أولاً: تحقيق المخطوطات:

١. تحقيق كتاب "يوميات فقيه حنبلي من القرن الخامس الهجري: تعليقات ابن البناء لحوادث عصره"، وهي يوميات كتبها أبو علي بن البناء الحنبلي، وتعد أقدم يوميات مكتشفة إلى يومنا هذا، وقد حققها مقدسي ونشرها في مجلة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن بين عامي ١٩٥٦-١٩٥٧م، ثم أعاد الدكتور أحمد العدوي نشرها عام ٢٠١٩م، بعد العناية بها وتعريب التعليقات.

٢. تحقيق كتاب "تحريم النظر في كتب الكلام"، لابن قدامة المقدسي، ونشره جورج مقدسي عام ١٩٥٦م.

٣. تحقيق "كتاب التوابين"، لابن قدامة المقدسي، وقد نشره المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، عام ١٩٦١م

٤. تحقيق كتاب "الجدل على طريقة الفقهاء"، لابن عقيل الحنبلي، وطبع عام ١٩٦٧.

٥. تحقيق كتاب "الفنون"، لابن عقيل الحنبلي، وطبع في بيروت عام ١٩٧٠-١٩٧١.

٦. تحقيق كتاب "أربع رسائل في القرآن وإثبات الحرف والصوت ردّاً على الأشاعرة"، لابن عقيل الحنبلي، ونشره في مجلة الدراسات الشرقية بدمشق، عام ١٩٧١م.

٧. تحقيق كتاب "الواضح في أصول الفقه" لابن عقيل الحنبلي، في ثلاثة مجلدات، ونشر عام ١٩٩٦م.

---

(١) للمزيد حول أعمال جورج مقدسي ينظر: العقيقي، نجيب، **المستشرقون**، ٣/ ١٨٦-١٨٩، ومقدمة أحمد العدوي في: مقدسي، جورج، **نشأة الإنسانيات**، ص٤١-٥٩

ثانياً: الكتب

١. بغداد في القرون الوسطى، ترجمة صالح أحمد العلي، ونشر في عام ٢٠١٤م.

٢. نشأة الكليات: معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب، ترجمة محمود سيد محمد، ونشر في عام ٢٠١٥م.

٣. الإسلام الحنبلي، ترجمة سعد المولى، وقدم له رضوان السيد، ونشر عام ٢٠١٧م.

٤. ابن عقيل: الدين والثقافة في الإسلام الكلاسيكي، ترجمة محمد إسماعيل خليل ونشر عام ٢٠١٨م.

٥. الأشعري والأشاعرة في التاريخ الديني الإسلامي، ترجمة أنيس مورو، ونشر عام ٢٠١٨م

٦. الشافعي وأصول المتكلمين: نشأة علم أصول الفقه وأهميته، ترجمة يوسف وهب، ونشر علن ١٤٤٠هـ/٢٠٢٠م.

٧. الطبقات (مؤلف في التراجم): بين الفقه وصحيح الدين في الإسلام الكلاسيكي، ترجمة علاء عوض عثمان، ونشر في عام ١٤٤٠هـ/٢٠٢٠م

٨. نشأة الإنسانيات عند المسلمين وفي الغرب المسيحي، ترجمة أحمد العدوي، ونشر في عام ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م

ثالثاً: الأبحاث

١. مؤسسات العلم الإسلامية ببغداد في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر)، ترجمة إحسان عباس، ١٩٦١م.

٢. المذهب الحنبلي والتصوف، ترجمة أحمد محمود إبراهيم، ٢٠١٦م.

٣. نقابات القانون في التاريخ التشريعي في العصور الوسطى: تقصٍّ في أصول الهيئات القانونية الأربع في لندن، ترجمة عمرو بسيوني، ٢٠١٨م.
٤. ملحوظات على اليوميات في الكتابة التاريخية الإسلامية، ترجمة أحمد عبدالمنعم العدوي، ١٤٣٨هـ/٢٠١٨م.
٥. أهمية مذاهب الفقه السني في التاريخ الديني الإسلامي، ترجمة احمد محمود إبراهيم، ٢٠٢١م.

المبحث الأول: منهج جورج مقدسي في الدراسات المقارنة بين الشرق والغرب

من المعلوم أن الحضارة الغربية قد استفادت من الحضارة العربية الإسلامية من خلال ما ترجم من كتب المسلمين في فنون شتى، وهذا ما يقر به الغربيون أنفسهم. ولكن الأمر الذي لا تجد جواباً له عندهم هو عن أصول نشأة التعليم ونشأة العلوم الإنسانية (الأدبية) في الغرب هل تأثر بحضارة المسلمين أم لا؟

بقي جواب هذا السؤال غامضاً أو مكتفياً بزعم أحد المستشرقين وهو جابرييل كومبايريه (ت ١٩١٣م) أنها نشأت بحركة عبقرية أو عفوية في العقل البشري! [(١)]، لكن الواقع يقول إنه لا شيء ينبت من عبث. بقي الأمر هكذا، متماشياً ومتسقاً مع عقلية أنصار "المركزية الغربية"، إلى أن جاء المستشرق جورج مقدسي منقباً ومفتشاً في تاريخ المسلمين إبان عصره الذهبي أو كما يسميه كثير من المؤرخين فترة "الإسلام الكلاسيكي" [(٢)]، فوصل عبر مقارنة تاريخية علمية إلى تأثر الغرب المسيحي بما عند المسلمين، وطرح هذا الأمر في عملين علميين كبيرين، الأول منهما هو نشأة الكليات: معاهد العلم عند المسلمين والغرب Rise of Colleges: Institutions of Learning in Islam and the West، الذي صدر

(١) ينظر: مقدسي، جورج، **نشأة الكليات: معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب**، ت: محمود سيد محمد، مدارات للأبحاث والنشر–القاهرة، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص٤٢٣

(٢) الإسلام الكلاسيكي –عند المستشرقين– يقصد به الفترة من ظهور الإسلام إلى سقوط بغداد في يد المغول عام ٦٥٦هـ. ينظر: مقدسي، جورج، **نشأة الإنسانيات**، ص٥٩

بالإنجليزية عام ١٩٨١م، والثاني نشأة الإنسانيات عند المسلمين وفي الغرب المسيحي The Rise of Humanism in Classical Islam and the Christian West الذي صدر بالإنجليزية عام ١٩٩٠م.

وسأكتفي في هذا المبحث بهذين الكتابين لبيان ما يتعلق بمنهج جورج مقدسي في المقارنة بين الشرق والغرب، وأما ما يتعلق بنقده لآراء جملة من المستشرقين، وكذلك ما وقع فيه من أخطاء في هذين الكتابين أو في غيرهما من كتبه، فسيكون الحديث عنهما في المبحثين الثاني والثالث.

ينطلق جورج مقدسي في دراسته "نشأة الكليات" من النظر في النظام التعليمي في العصور الزاهرة من تاريخ الإسلام "فترة الإسلام الكلاسيكي"، فيقول: «والهدف من وراء ذلك هو اثبات أن المدرسة تجسدت فيها العلوم الدينية الإسلامية في أكمل صورها وهي الفقه، كما برز فيها الاتجاه الديني الأمثل في الإسلام، وهو الاتجاه السلفي، وأن الفقه والاتجاه السلفي تضافرا معاً لإحداث طريقة النظر أو الطريقة المدرسية، التي كانت ابتكاراً فريداً تميزت به العصور الوسطى».(١)

وأما في كتابه الآخر "نشأة الانسانيات" فيبدأ جورج مقدسي بالحديث عن مكانة الإنسانية والمدرسية كحركتين ثقافيتين في الإسلام، وأن أصولهما واضحة في الإسلام بخلاف الغرب، فيقول: «الإنسانية (Humanism) والمدرسية (Scholasticism) حركتان هيمنتا على التاريخ الثقافي في الإسلام الكلاسيكي»(٢)، ويضيف: «بَذلت محاولة في كلتا الدراستين للإجابة للإجابة عن أسئلة من قبيل: ماذا؟ ومن؟ ومتى؟ وأين؟ وكيف؟ ولماذا؟ ولا سيما لماذا؛ وذاك أن الإجابة عن السؤال لماذا هي التي حملت في طياتها

(١) مقدسي، جورج، **نشأة الكليات**، ص٣١

(٢) مقدسي، جورج، **نشأة الإنسانيات**، ص١١١

مفتاح أصول هاتين الحركتين الثقافيين. ولدينا إجابة مقنعة عن السؤال المتعلق بالأصول فيما يخص الإسلام؛ بيد أننا نفتقر إلى إجابة واضحة في حالة الغرب المسيحي».[١]

ثم يؤكد بأنه لم يجد من يتحدث عن وجود صلة بين الإنسانية والمدرسية في الغرب وما وجد في الإسلام، فيقول: «وعلى حد علمي، لم يُشر أحد من المستعربين إلى وجود صلة ما بين فنون الأدب (studia adabiya) في الإسلام والدراسات الإنسانية (studia humanitatis) في عصر النهضة الإيطالية قط. وكذلك لم يقترح أحدهم وجود صلة ما بين المدرسية في الإسلام وبين المدرسية في الغرب المسيحي على النحو الموصوف في النشأتين».[٢]

وفي كتاب نشأة الكليات عرض مقدسي بشكل مفصل النظام التعليمي في الإسلام في ثلاثة فصول، ثم عقد فصلاً رابعاً بعنوان "الحضارة الإسلامية والغرب المسيحي"، وذلك للمقارنة بين ما عند المسلمين وما عند الغرب في ميدان التعليم، ومما قاله فيه: «من كان لديه إلمام بتاريخ الجامعات والكليات في العصور الوسطى لن يفوته أن يلاحظ أوجه الشبه الكبير بين نظام التعليم في بلاد الإسلام ونظيره في الغرب المسيحي، والتي يمكن ملاحظتها بصفة خاصة في المعاهد العلمية وطرق التدريس، ووظائفه ومناصبه، .. »[٣]، ويضيف أيضاً: «وسوف تقتصر المقارنة بينهما على المجالات التي يُحتمل أن تُلقي التجربة الإسلامية، الأسبق زمناً، بعض الضوء على التطورات اللاحقة، والتي سوف تساعدنا فيها التجربة المسيحية

(١) الموجع السابق، ص١١١

(٢) المرجع السابق، ص١٠٤-١٠٥

(٣) مقدسي، جورج، **نشأة الكليات**، ص٣٤٧

التي نعرفها بشكل أفضل، لكونها أحسن توثيقاً وأفضل دراسة، على إبراز العناصر التي لم تتطرق إليها الدراسات المحدودة التي أجريت حتى الآن والتي تعوزها الوثائق التاريخية».[١]

وينتقد مقدسي العزوف عن أو ضعف الإشارة إلى تأثير العرب في نشأة معاهد العلم في الغرب، فيقول: «من المتفق عليه –بصفة عامة– أن العلوم العربية قد أسهمت في تلك "النهضة الكبرى". وعلى عكس ذلك، نجد أنه حتى القليل الذي قيل عن إسهام العرب في نشأة معاهد العلم في الغرب المسيحي، أو في طرق التدريس بها، لم يُقابل بحماس كبير. فعندما أشار خوليان ريبيرا (Julian Ribera) في كتابه بعنوان " Disertaciones Y opusculos" إلى احتمال أن تكون جامعة العصور الوسطى مدينة بالشيء الكثير للتقليد المعتمد والمقصود لنظام التعليم العربي، نجد ف. م. بويك (F.M. Powicke)– وهو من العلماء الذين اشتركوا في تحرير كتاب راشدال Rashdall– بعد أن عرض لكتاب ريبيرا، يرفض الادعاء بتعليق مقتضب قال فيه: "إن حجته ليست مقنعة"».[٢]

ومن جهة أخرى لها علاقة بدعم مسيرة العلم وتطوره وهي "الأوقاف"، تحدث مقدسي عن بداية ظهور المؤسسات الوقفية من الأشخاص في فرنسا في القرن الثاني عشر الميلادي، واستمر حتى ألغي بمراسيم في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، فأصبحت المؤسسات الموقوفة هبات مشروطة تقدم لشخص اعتباري أحدثته السلطة العليا[٣]، ثم ذكر مقدسي بأن نمط المؤسسة الموقوفة التي يُنشئها شخص عادي دون إذن من السلطة كان

(١) مقدسي، جورج، **نشأة الكليات** ، ص٣٤٧

(٢) المرجع السابق، ص٣٤٩–٣٥٠

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص٣٥٢

-كما يقول مقدسي-: «هو النمط الوحيد من المؤسسات الموقوفة الذي عرفه العالم الإسلامي. وقد ظهرت الأوقاف من هذا النوع في بلاد الإسلام قبل أن تظهر في الغرب بوقت طويل، واستمرت قائمة حتى العصر الحديث بعد أن اختفت في الغرب وانقرضت»[١]، وأما في إنجلترا فيقول مقدسي: «نشأت المؤسسات الخيرية الإنجليزية على نفس النسق الذي قام على أُسسه الوقف الإسلامي، بما في ذلك الاستمرارية».[٢]

وفي تصور افتراضي عن مدى تأثر الغرب المسيحي بما عند المسلمين في ميدان التعليم ومؤسساته ونظمه، يقول مقدسي: «لو تصورنا أن طالب علم وهمي من بلاد الإسلام، ولتكن بغداد، في العصور الوسطى، قام بزيارة إلى عالم العلم والمعرفة في الغرب المسيحي، فإنه لم يكن ليشعر بأنه بعيد عن الوسط الذي يألفه، وسيشعر بارتياح كبير في بيئته الجديدة. وسيجد من الأماكن المألوفة لديه تماماً كليات باريس وأكسفورد بطلابها، ودارسيها، ودكاترتها، يعاونهم مساعدوهم ومعيدوهم، والطلاب تحت الخدمة...، ولن يجد شيئاً في الوسط الدراسي غريباً عليه، ولا حتى الجامعات غير الإسلامية ذاتها، فهي مجرد مفهوم تجريدي، أما المباني فإنها تتعلق (وهو ما كانت عليه بالفعل) بالكليات التي يعرفها حق المعرفة. وسيجد أن المواد الدراسية وطرق التدريس والتدريب مألوفة لديه. وسيجد كذلك أنه على دراية بنفس الاتجاه العام لعناصر النشاط الدراسي. وسوف تتضافر كلٌ من الدراسات والتمارين وطرق التدريس وألوان النشاط لتجعله يشعر أن البيئة العلمية التي يزورها ليست سوى امتداد للبيئة التي قدم منها، ...، لن يجد زائرنا الوهمي ما يدفعه إلى التساؤل عن كيفية حدوث هذه

(١) مقدسي، جورج، **نشأة الكليات** ، ص٣٥٣

(٢) مقدسي، جورج، **نشأة الكليات**، ص٣٥٣

التطورات المشابهة لما يجده في بلده؟ وسوف يكون لديه، بادئ ذي بدء، إحساس قوي بتفوق حضارته».[١]

وفي مثال آخر من أمثلة تأثر الغرب بما لدى المسلمين يذكر مقدسي طريقة "التقارير"، وهي ما يكتبه الطلاب من معلميهم، وهي -كما يقول-كما كان يسجل الطلاب دروس توما الأكويني[٢] [٣]. وعن هذه الطريقة يقول مقدسي: «من الواضح أن "التقرير" هو نفس الشيء الذي أنتجه الأدب الفقهي الإسلامي باسم "التعليقة". فالمذكرات التي يدونها الطالب هي عملية التعليق سواء أكتبها من محاضرات المدرس أم من تعليقه، أم من مؤلفاته المكتملة الإعداد. وتصلح تعليقة الغزالي للمقارنة مع تقرير نيكولوس فيوريوسوس[٤]، كان مصنف أولهما بعنوان "المنخول" والذي سلفت الإشارة إليه، عبارة عن تقرير (أي تعليقة) عن مذكرات دروس أستاذه الجويني».[٥]

وذكر مقدسي أن اصطلاح "المحاضرة lectio" ترتبط نشأته أوثق الارتباط بالاصطلاح العربي المقابل له وهو "قراءة"، المستعمل في نظام التعليم الإسلامي. ومثله كذلك اصطلاح "نعم ولا" (sic et non) الذي ظهر فجأة في الغرب المسيحي حوالي عام ١١٠٠م، فهو يرتبط ارتباطاً

---

(١)مقدسي، جورج، **نشأة الكليات** ، ص٣٧١-٣٧٢ -بتصرف -

(٢) المرجع السابق، ص٣٧٨

(٣) توما الأكويني أو توماس الأكويني Thomas Aquinas، ٦٢٢هـ-٦٧٣هـ الموافق ١٢٢٥-١٢٧٤م، ولد في بمدينة أكويني (وسط إيطاليا)، من أسرة ألمانية، ويُعد عالماً لاهوتياً وفيلسوفاً، وما زالت فلسفته أساس الدراسات اللاهوتية الكاثوليكية إلى اليوم. من آثاره: خلاصة المذهب الكاثوليكي ضد الوثنيين، وتفاسير لما بعد الطبيعة، ووحدة العقل. للمزيد ينظر: العقيقي، نجيب، **المستشرقون**، ١١٧/١

(٤) نيكولوس فيوريوسوس Nicolaus Furiosus، لم أجد له ترجمة.

(٥) ينظر: مقدسي، جورج، **نشأة الكليات**، ص٣٧٧

وثيقاً بالمصطلح الإسلامي "الخلاف" الذي كان جزءاً أساسياً من نظام الفقه الإسلامي في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي. (١)

وأما عن "الإجازة للتدريس" التي ظهرت منذ القرن الرابع الهجري، فقد ظهرت بعد ما يقرب من قرنين في الغرب المسيحي، أي في القرن الثاني عشر الميلادي، بمرسوم أصدره الاسكندر الثالث، وكان عبارة عن "ترخيص بالتدريس"، وهو نفس الشيء الذي تشير إليه "الإجازة للتدريس" عند المسلمين.(٢)

ويضيف مقدسي بأن دانييل هانيبرج Daniel Haneberg (ت ١٨٧٦م) يقول في كتابه عن التربية الإسلامية الصادر في ميونخ عام ١٨٥٠م، والذي جاء فيه عن الإجازة: "إنني أفترض أن درجة الليسانس (Licentiate)" الموجودة عندنا نشأت من النظام الإسلامي الذي يعني الإجازة".(٣)

وفي العقد الأخير من القرن التاسع عشر درَّس خوليان ريبيرا Julián Ribera (ت ١٩٣٥م) برنامجا دراسيا عن التربية الإسلامية في جامعة سرقسطة في العام الجامعي ١٨٩٣-١٨٩٤م أعرب فيه عن الرأي القائل بأن النظام الإسلامي للتعليم من المحتمل أن يكون قد أثر على الجامعة في الغرب اللاتيني. وبنى رأيه على دراسة ظواهر معينة من بينها منح الدرجات والألقاب. وهي عادة لم تكن معروفة في الغرب من قبل، سواء في العالم المسيحي في العصور الوسطى او عند الرومان أو عند الإغريق. وفي عام ١٨٩٣م أصدر جابرييل كومبايريه Gabriel Compayre (ت١٩١٣م)

(١) ينظر: المرجع السابق، ص٣٧٩

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٤١٨

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص٤٢٢-٤٢٣

كتابا قال فيه "الجامعات نشأت من حركة عفوية للعقل البشري". وعقب عليه ريبيرا قائلاً" قول لطيف جدا لمن يستطيع أن يجد فيه أي معنى".[١]

ويقول مقدسي في "نشأة الإنسانيات"[٢] عن الإجازة للتدريس: «قُبيل ظهور رخصة التدريس (Licentia docendi) في الجامعة المسيحية القروسطية، كانت تلك الرخصة بالتدريس قد تطورت بالفعل في الإسلام، وبالمسمى نفسه، معبَّراً عنها باللغة العربية حرفياً بـ إجازة التدريس، أو الإجازة بالتدريس، وهي بالإنجليزية (The license to teach). وعلى هذا النحو يمكن القول: إن منزلة الدكتوراه قد انتقلت خلال ثلاث حقب من التاريخ، منذ نشأتها في القرون الوسطى وصولاً إلى عصرنا الحديث، تحت ثلاثة مسميات رئيسة:

١- إجازة التدريس الإسلامية العربية الكلاسيكية.

٢- رخصة التدريس (Licentia docendi) المسيحية اللاتينية القُروسطية.

٣- درجة الدكتوراه الحديثة كما نعرفها في أيامنا هذه».[٣]

ثم قال عن تأثر الغرب بإجازة التدريس لدى المسلمين: «لقد استوردها الغرب المسيحي ضمناً في جملة المعارف التي دأب على استعارتها من الإسلام بنهم في القرون الوسطى، فقدمت إلى الغرب المسيحي بوصفها جزءاً من الأدوات والمناهج التي كانت بدورها جزءاً لم يتجزأ قط من تلك

---

(١) ينظر: مقدسي، جورج، **نشأة الكليات**، ص٤٢٣

(٢) سار جورج مقدسي في كتابه نشأة الإنسانيات على نفس طريقته في نشأة الكليات، فيعد أن عرض الآداب "الإنسانيات" في الإسلام في ستة فصول خصص الفصل السابع للمقارنة بين ما عند المسلمين وما نشأ في الغرب، وجعل عنوانه "الإسلام الكلاسيكي والغرب المسيحي".

(٣) مقدسي، جورج، **نشأة الإنسانيات**، ص١٥٨-١٥٩

المعرفة الدخيلة المستوردة من العالم الإسلامي»[١]. ثم ذكر في موضع آخر ما حصل من تطور للدكتوراه في بيئتها الجديدة التي كانت تختلف عن البيئة الإسلامية باحتكار سلطة الكنيسة لسلطة التدريس: «كان على الدكتوراه–تلك البذرة الإسلامية التي غُرست في التربة الأوروبية غرساً– أن تتأقلم مع بيئتها الجديدة، حيث كانت هناك سلطة تدريس راسخة بالفعل في الهيراركية الكنسية».[٢]

ويقول مقدسي عن الأدب في الإسلام: «استُعمل اصطلاح الأدب عَلَماً على الدراسات الإنسانية في الإسلام الكلاسيكي، واندرجت علوم اللغة وفنون الأدب تحت هذا الاصطلاح ضمنياً إلى جانب حقول أخرى، ودُرِّست في عدد كبير من مؤسسات التعليم المختلفة».[٣]

ويقول أيضاً: «في ضوء تجربة فنون الأدب العربية الإسلامية، ونوع االمصنفات التي سُجلت فيها هذه الدراسات وحُفظت، ولا سيما الأمالي من بينها، وما جرى مجراها (على سبيل المثال: المجالس، والأخبار، والنوادر)، يتضح أن فنون الأدب في السياق الإسلامي كانت إرهاصات أولية، أو نماذج أساسية تُحتذى لـ الدراسات الإنسانية في السياق الأوروبي، وللإنسانيين من عصر النهضة الإيطالية».[٤]

وعن طريقة الغرب في الاستفادة من علوم وطرائق المسلمين يقول مقدسي: «اتخذت بلدان الغرب المسيحي خيارتها–عند الاستعارة من الإسلام الكلاسيكي– وفقاً لاحتياجاتها. لقد رأينا بالفعل تلك الصلة بين القانون

(١) مقدسي، جورج، **نشأة الكليات** ، ص١٦١

(٢) المرجع السابق، ص١٧٥

(٣) مقدسي، جورج، **نشأة الإنسانيات**، ص١٨٩

(٤) المرجع السابق، ص٦٠٨–٦٠٩

والنزعة الإنسانية في إيطاليا، واحتياجات الدولة التي انطوت على كُتَّاب العدل والكُتَّاب عامة. وبوسعنا أن نكتشف الصلات نفسها أيضاً في إنجلترا، وقد كمن الاختلاف بين القطرين المستعيرين في أولوية هذين العنصرين: الدراسات الإنسانية في إيطاليا في عصر النهضة، والدراسات القانونية في إنجلترا النورماندية».[١]

وفي خاتمة كتاب "نشأة الإنسانيات" يلخص مقدسي أوجه الشبه بين الأدب العربي والنزعة الإنسانية في الغرب، وكذا الحال في التعليم وأنظمته، فيقول: «كثيرة هي أوجه التشابه بين الأدب العربي في الإسلام الكلاسيكي، والنزعة الإنسانية في عصر النهضة الإيطالية، كما كانت الحال هي نفسها في المدرسية في الإسلام الكلاسيكي، ونظيرتها في الغرب المسيحي. ويمكن معاينة أوجه الشبه في جميع المجالات: في مؤسسات التعليم، وفي تنظيم المعرفة، وفي الدراسات الإنسانية، وفي تعظيم الكتاب، وفي تعظيم الفصاحة، وفي منهج التعليم، وفي التعلم الذاتي، وفي جميع أطوار مجتمع الإنسانيين، وعند كل من الأدباء الهواة أو المحترفين، وكذلك في العلاقة بين النزعة الإنسانية والقانون، وفي فن كتابة الشروط (العدل)، وفي فن الترسل، وفي المنتخبات الأدبية، وفي الرسائل والوثائق القانونية الرسمية النموذجية، وكذلك في العلماء الموسوعيين المتفننين، وفي تعظيم الشهرة والمجد، وفي ممارسة السخرية وإظهار الفطنة، وفي الفردانية بصفة عامة، وكذلك في جوانب أخرى كثيرة».[٢]

وقد أشار جورج مقدسي في كتاب له آخر عن عمله في هذين الكتابين، فقال: «يُعد القرن الحادي عشر (الميلادي) ببغداد– حاضرة العالم

(١) مقدسي، جورج، **نشأة الكليات** ، ص٥٧٣

(٢) مقدسي، جورج، **نشأة الإنسانيات**، ص٦٣٨

الإسلامي– قرناً حديثياً ذا أهمية بالغة في التاريخ السياسي والديني للإسلام الكلاسيكي، بالإضافة للتاريخ النظمي والعلمي، ...، وبالنسبة إلى المناحي النظمية والعلمية، فقد وصلت الحركة العلمية بمذاهبها الفقهية ومؤسساتها التعليمية وطرق التعليم إلى أوج تطورها؛ فكان لها تأثير بالغ في الحضارة في الإسلام الكلاسيكي، وتجاوزت ذلك، فبلغ تأثيرها الغرب النصراني في الناحيتين العلمية والدينية، وقد نوقش هذا التطور باستفاضة في عملين سابقين، وهما: نشأة الكليات، ونشأة الأدب».[١]

وبعد، فمن خلال ما مضى نجد أن المستشرق جورج مقدسي قد انتهج خطاً علمياً للمقارنة التاريخية في ميداني التعليم والأدب "العلوم الإنسانية" بين الإسلام والغرب، وبنى هذه المقارنة التاريخية على المصادر الأصيلة لدى المسلمين ولدى الغربيين، وخلص إلى أن الغرب المسيحي قد استفاد في نهضته في هذين الميدانين من المسلمين، الذين سبقوه في تطورهم ونهضتهم. وقد عدد مقدسي في هذين الكتابين أمثلة كثيرة لأوجه هذا التأثر، وذكر في خاتمة كتابة "نشأة الإنسانيات" –في النقل الذي أوردته عنه آنفاً– بعض أوجه هذا التأثر.

وقد كان يدرك جورج مقدسي أن وصوله إلى هذه النتيجة – التي ظلت غائبة– سيلقى ردة فعل غير مرحب بها، خاصة من أنصار المركزية الغربية، الذين لا يرون فضلاً للإسلام على حضارتهم. ومن أمثلة ذلك – التي وقفت عليها– موقف المستشرق نورمان دانيال الذي رفض فكرة جورج مقدسي بشدة في مقال له –مترجم إلى العربية–، ومما قاله في مقاله ذلك: «يُعنى البروفسور مقدسي عناية شديدة بالمقارنات بين التعليم العربي

(١) مقدسي، جورج، **ابن عقيل: الدين والثقافة في الإسلام الكلاسيكي**، ت: محمد إسماعيل خليل، مركز نماء للبحوث والدراسات–بيروت، ط١، ٢٠١٨م، ص٣٢٩

والتعليم الغربي اللاتيني، ولكن الفحص الدقيق يقلل بشدة من حدة تراكم هذه التشابهات»[١]، ويقول أيضاً: «ولكن من المؤسف أن أذكر عدم اتفاقي مع نظرية هذا الكتاب دون التطرق إلى فضائله غير القابلة للجدل».[٢]

وأما في العالم الإسلامي فقد قوبلت هاتين الدراستين بالقبول والترحاب، كونهما تأصيلاً علمياً- بُني على المصادر التاريخية- لفضل حضارة الإسلام على الحضارة الأوربية. وقد أعتنى بترجمة وطباعة كتاب "نشأة الكليات" لأول مرة جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، عام ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، وراجعه وعلق عليه اثنان من أساتذتها، وهما الأستاذ الدكتور عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان -رحمه الله- (عضو هيئة كبار العلماء فيما بعد)، والأستاذ الدكتور محمد بن علي حبشي. وأما كتاب "نشأة الإنسانيات" فقد نقله إلى العربية وقدم له وراجعه الدكتور أحمد عبدالمنعم العدوي.

ولا يعني القبول والترحاب بفكرة هذين الكتابين القبول بكل ما ورد فيهما من تفاصيل وآراء، وقد بين هذا الأمر المراجعان لكتاب "نشأة الكليات"، حيث قالا: «وإذا كان المؤلف قد بذل جهداً علمياً كبيراً لا يستهان به في تأليف هذا الكتاب، فإن مما تجدر الإشارة إليه هنا أن له بالطبع تفسيرات وآراء خاصة به. وهذا من حقه كباحث. وسوف يلحظ القارئ هذا التباين في النظر خصوصاً لأنه ناشئ عن المشاعر والخلفيات العقدية»[٣]،

---

(١) دانيال، نورمان، **الإسلام ونشأة الكليات في أوروبا**، ت: هند أحمد، ٢٠١٧م، نماء للبحوث والدراسات، الرابط: https://nama-center.com/Articles/Details/٤٠٨٠٠

(٢) المرجع السابق.

(٣) مقدسي، جورج، **نشأة الكليات: معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب**، ت: محمود =

ونبه كذلك الدكتور أحمد العدوي في مقدمته لكتاب "نشأة الكليات" لهذا الأمر بقوله: «تتسم قراءات مقدسي للتاريخ الإسلامي بالعمق عامة، وذلك من حيث الكشف عن بعض القضايا المهمة التي لم يدرك غيره وجودها أصلاً. ومع أن بعض تفسيراته تشهد له بالألمعية، إلا أن بعضها الآخر لم يخل في المقابل من الانطباعية».(١)

وأما عن طبيعة هذه الأمور التي أخطأ فيها مقدسي فسأتناول بعضها في المبحث الثالث.

بقي أن نشير إلى أن مقدسي من خلال ما طرحه في هذين الكتابين، وكذلك ما طرحه في بقية كتبه التي سترد في المبحثين الآتيين، قد أنصف –بشكل علمي– الإسلام في مقابل الحضارة الغربية. ويشير أحمد العدوي إلى سبب ذلك بقوله: «إن مقدسي كان حريصاً على أن تستند استنتاجاته وخلاصاته إلى وثائق مادية، وأنه لم يخرج عن هذه القاعدة إلا فيما ندر. ويشير استقراء دراساته وخلاصاته إلى أنها لم تكن نتيجة قناعات مسبقة حاول الدفاع عنها، وإن بعضها كان عرضة للفحص والتمحيص والنقد الذاتي».(٢)

ويقول حامد دبشي عن كتاب نشأة الإنسانيات: «إذا كان لنا أن نطلق لقبًا على جورج مقدسي، فسأختار لقب "محطم الأساطير"، لكنه في هذا الكتاب يواجه أسطورة ضخمة، إنها الأقوى من نوعها في عصرنا، إنها

=

سيد محمد، مركز النشر العلمي– جامعة الملك عبدالعزيز، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص٢

(١) مقدسي، جورج، **نشأة الإنسانيات**، ص٦٥

(٢) المرجع السابق، ص٦١

أسطورة "الغرب". لقد سخّر مقدسي سعة اطّلاعه الهائلة، وأقوى أدواته المعرفية لمواجهة هذه الأسطورة [١]، ويضيف أيضاً: «لم يعرّج مقدسي في فقراته المكتوبة بعناية على مصدر وتداعيات هذا التوتر وتلك الحساسية الداعية لنفي أي تأثير خارجي على "الغرب"، لا سيما تأثير الإسلام، وهنا تحديدًا تكمن قوة أسطورة الغرب، ولهذا السبب فإنّ من المتوقع أن يواجه كتاب مقدسي الرائع –مرة أخرى– مقاومةً شديدة في دراسة حجته بجدية من قبل أتباع المركزية الأوروبية».[٢]

وتقول فاطمة حافظ: «وبالجملة، فقد أسهم جورج مقدسي بدراساته في تطوير حقل الدراسات الإسلامية في العالم الغربي وفي تحقيق نوع من التقارب المعرفي بين الشرق والغرب».[٣]

ويقول حازم خيري «المحاولات الجادة للإجابة على التساؤل الحائر حول مكانة الفكر الأنسني في الحضارة الإسلامية عموما، وفي الثقافة العربية الإسلامية على وجه الخصوص، تتراوح في مجملها بين نفي قاطع لوجود الأنسنية في الشرق عموما– كما عند كارل هينرش بِكر (ت١٩٣٣م) الذي قال بأن الإنسنية هي التجربة الحية الحاسمة الكبرى بالنسبة إلى الغرب، ومن ثم استبعد وجودها في الشرق– وبين إثبات جورج مقدسي القاطع لهذا الوجود في الحضارة العربية الإسلامية الكلاسيكية، وكذلك قوله بأن المسيحية وجدت في الإسلام الكلاسيكي حضارة أكثر تقدما في القوة

---

(١) دبشي، حامد، **مراجعة كتاب "تشأة الإنسانيات" لجورج مقدسي**، ترجمة: مصطفى هندي، موقع أثارة، الرابط: https://atharah.net

(٢) المرجع السابق.

(٣) فاطمة حافظ، **جورج مقدسي ومشروعه المعرفي: عرض موجز**، إسلام أون لاين: https://islamonline.net/

العسكرية والاقتصادية والفكرية، واكتشفت بعد دراسة مستفيضة عناصر الميراث التاريخي في تلك الحضارة الإسلامية، وهو ما أيقظ داخل المسيحية إدراكها لميراثها الكلاسيكي». [١]

هذا بعض أصداء دراسات جورج مقدسي في العالم الإسلامي، التي تركزت على إنصافه في التأصيل لاستفادة الحضارة الغربية في التعليم ولآداب من الحضارة الإسلامية في أوج ازدهارها. والأمنية هنا أن تجد هذه الأطروحة المنصفة من جورج مقدسي –وغيرها من الأطروحات– صدىً وازدهاراً في الحقل المعرفي الغربي، الذي لا يزال يعيش على وقع أعمال المستشرقين والمؤرخين من أنصار المركزية الغربية، التي لا ترى للشرق فضلاً على الحضارة الغربية، إلا الشيء القليل، مثل صناعة الورق في الصين.

(١) حازم خيري، **آلام من نسيج خاص: مقالات في الفكر الأنسني**، E-Kutub Ltd، ٢٠١١م، ص١٥

المبحث الثاني: مراجعة جورج مقدسي النقدية للآراء الاستشراقية

سوف أورد في هذا المبحث نماذج من مناقشة جورج مقدسي لآراء المستشرقين، وذلك في مطلبين، الأول عن رده على بعض آراء المستشرقين حول المذهب الحنبلي، والثاني سأورد فيه عدة وقفات نقدية من مقدسي لآراء مستشرقين آخرين. وبيان ذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: نقد جورج مقدسي لبعض الآراء الاستشراقية عن المذهب الحنبلي

ينطلق جورج مقدسي في حديثه عن الحنابلة في كتابه "الإسلام الحنبلي" من تأثره بما كتبه أستاذه هنري لاووست عن الحركة الحنبلية، وتصويره لها بأنها نسق عقدي وفقهي، حيث يقول لاووست: «والمذهب الحنبلي– أي النظام الأصولي و العقدي والتشريعي الناشئ عن عمل أحمد بن حنبل– كان بفضل شخصية مؤسسه وشخصيات أتباعه الرئيسيين، من أهم العوامل التي بلورت الثقافة الإسلامية».[1] وهذا التأثر قرنه مقدسي بالعودة إلى الأصول والمصادر التاريخية، حيث تشير إلى أن هذا القول كان يبدو بالتأكيد شديد الغرابة والنفور للمطلع على أقوال قدامى المتخصصين في الدراسات الإسلامية؛ لأنها بعيدة كل البعد عن رأي

(١) لاووست، هنري، **النظريات الاجتماعية والسياسية لشيخ الإسلام**، ت: محمد عبدالعظيم علي، تعليق مصطفى حلمي، دار الأنصار–القاهرة، ط١، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ١/١٢٢. وللمزيد يُنظر: لاووست، هنري، **الثقافة الإسلامية**، مجلة الحديقة، ع١١، ١يناير ١٩٣٣م، و: لاووست، هنري، **الحركة السلفية والصفات العامة لوجهتها المعاصرة**، مجلة المغرب الجديد، ع٨، شوال ١٣٥٤م/ يناير ١٩٣٦م

لاووست [١]، ثم يقول: «بيد أن كلام لاووست هذا لم يكن مجرد ادعاء مجاني، بل على العكس من ذلك، فإنه يتوافق والحوادث التاريخية».[٢]

ثم يقرر جورج مقدسي في كتابه "الإسلام الحنبلي" أن الإسلام في القرن التاسع عشر كان يتمثل في عين أوروبا بصورة تركيا، التي كانت ترتبط بعلاقات دبلوماسية مع أوروبا منذ قرون. وكانت تركيا حينها تصف الوهابيين في البلاد العربية بالهراطقة (المبتدعة). والوهابيون مرتبطون بابن تيمية، وابن تيمية من الحنابلة. والنتيجة أن ابن تيمية والحنابلة يوصفون كذلك بالهراطقة (المبتدعة).[٣]

ثم يضيف مقدسي بأن علماء كبارا -كما يصفهم- أمثال جولدزيهر (ت ١٩٢١م) وماكدونالد (ت ١٩٤٣م) ثابروا على مهمة التدليل على أن ابن تيمية وابن حنبل لم يكونا مبتدعة، وإنما كانا من المتمسكين باحترام السنة، وأن الحنابلة والوهابية ينتمون إلى "الأرثوذكسية القديمة"[٤]، أي أهل السنة والجماعة.

ثم يقول مقدسي بأن هذين العالمين لم يكن همهما رد الاعتبار لـ "الأرثوذكسية القديمة" التي ناصبت العداء "الأرثوذكسية الجديدة" (الأشاعرة) التي ظهرت بعد هزيمة المعتزلة[٥]، ثم ينتقدهم بقوله: «وهكذا فإنه عوضاً عن المساعدة في إعادة الاعتبار للحنابلة، أدى الاعتراف بأرثوذوكسيتهم

(١) ينظر: مقدسي، جورج، **الإسلام الحنبلي**، ت: سعود المولى، الشبكة العربية للأبحاث والنشر-بيروت، ط١، ٢٠١٧م ص١٥

(٢) المرجع السابق، ص١٦

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص٢٤-٢٥

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص٢٥

(٥) ينظر: المرجع السابق، ص٢٥

إلى إطلاق الحبل على غاربه للكثير من الاتهامات الباطلة ضدهم. وهكذا جرى اعتبار الحنابلة على أنهم من المجسمة، الذين كانوا بتمسكهم الشديد بأثريتهم المحافظة جداً (أهل الحديث)، يعارضون على حد سواء الأصوليين المتكلمين وأتباع الصوفية».[١]

ثم ينتقد جورج مقدسي المستشرق الأمريكي والتر باتون (ت ١٩٢٨م) الذي كتب دراسة عن أحمد بن حنبل –رحمه الله– بعنوان "أحمد بن حنبل والمحنة" وصدر عام ١٨٩٧م[٢]، حيث قال: «لم يكن باستطاعة الأمريكي والتر باتون (الذي كتب دراسة جميلة عن الإمام أحمد بن حنبل) أن يتخلص من قوة الجذب التي مارسها عليه فكر غولدزيهر»[٣]، لأن باتون –كما يقول مقدسي– فصَل بين ابن حنبل وبين أتباعه، الذين لم يخصص لهم سوى سطرين من كتابه.[٤]

ثم يضيف مقدسي: «ترك باتون المسرح وفقدنا أثره. ثم دخل غولدزيهر وغيره أيضاً؛ وهم يقدمون آيات احترامهم لأحمد بن حنبل، ولكنهم لا يبدون بنفس اللطف تجاه المذهب الذي يحمل اسمه. لقد كان لدراساتهم، وبالأخص غولدزيهر، الأثر الأكبر في المساهمة في تجاهل أي دراسة حول هذا المذهب».[٥]

ثم ذكر مقدسي كيف أن تأثير رأي جولدزيهر على صورة المدرسة

---

(١) مقدسي، جورج، **نشأة الكليات** ، ص٢٥

(٢) للمزيد ينظر: باتون، ولتر. م، **أحمد بن حنبل والمحنة**، ت: عبدالعزيز عبد الحق، دار الهلال، ط ت بدون.

(٣) مقدسي، جورج، **الإسلام الحنبلي**، ص٢٩

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص٢٩

(٥) المرجع السابق، ص٣٣

الظاهرية أدى إلى إلغاء تناول هذه المدرسة من حقل البحث لمدة ثلاثة أرباع القرن، وأن دراسته للمذهب الحنبلي كادت أن تصيب، من دون شك، الحنبلية بنفس المصير، لولا أعمال هنري لاووست[١]، ثم يضيف: «ومن جهته كان ماكدونالد (وهو أيضاً عالم من درجة رفيعة) يهتم بدراسة الغزالي وقد تعاون هذان العالمان (غولدزيهر ومكادونالد: ونحن مدينون لهما بالكثير في حقل الدراسات الإسلامية) في جر عملية صياغة التاريخ الديني الإسلامي في وجهة معينة».[٢]

ويشير مقدسي إلى أن جولدزيهر وصف كتاب باتون بأنه "عمل متسرع"، وذلك لأن من بين المصادر التي استعملها باتون كتب المقريزي؛ لأنه ينتمي إلى المذهب الحنبلي. ونجده في المقابل يمتدح طبقات السبكي[٣]. ثم يقول مقدسي: «نحن نفهم بسهولة التقدير الذي يكنه غولدزيهر لمؤلف السبكي وهو كاتب شافعي أشعري ومشاعره ضد الحنابلة بوضوح. ولكننا، وللوهلة الأولى، نفاجأ بتلك الإدانة الموجهة ضد المقريزي، ..»[٤].

ونقل مقدسي قدح جولدزيهر في الإمام الأشعري–رحمه الله– لأنه عاد إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل–رحمه الله–، فيقول «يدين غولدزيهر الأشعري لأنه تراجع أمام عقيدة أحمد بن حنبل، وهو يؤكد لنا أنه إذا أردنا أن نكون أمينين للحقيقة، فإنه لا ينبغي أن نسبغ عليه (الأشعري) أي امتياز هو ملك للأشاعرة الذين عاشوا في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر

(١) ينظر: مقدسي، جورج، **الإسلام الحنبلي**، ص٣٣–٣٤

(٢) المرجع السابق، ص٣٤

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص٣٧–٣٨

(٤) المرجع السابق، ص٣٨

الميلادي)».[١]

ويقول مقدسي عن جولدزيهر في تناوله للحنابلة: «فهو يتحدث عنهم تكراراً في مؤلفاته عن الإسلام وبعبارات ليست متزلفة بحسب ما نعرف عنه. وهو يتهم الحنابلة على وجه الخصوص بأنهم مجسمون، ومتعصبون، وغير متسامحين. ويأخذ عليهم أنهم أخروا نجاح الأشاعرة المزعوم».[٢]

ثم يتحدث مقدسي عن مرجع هذه الصورة عن الحنابلة فيقول: «هذه اللمحة غير المتزلفة المرسومة عن الحنبلية واتباعها تدين ليس لبعض علماء الإسلاميات فحسب، إنما أيضاً لمصادر اعتمدها هؤلاء الدارسون للإسلام، ..، فهذه المصادر هي إما غير مبالية وإما قاسية بعنف حيال الحنابلة».[٣]

وفي موضع آخر يشير مقدسي في حديثه عن أهل السنة والجماعة (الأرثوذوكسية الإسلامية) إلى رفض ابن تيمية –رحمه الله– للتعريفات المذهبية على جوهر الإسلام، ثم يقول: «نرى هنا جيداً كيف أن غولدزيهر لم يقبل نظرات ابن تيمية هذه إلا مرغماً، كما لو أنها كانت غير متوقعة وخارجة عن المألوف، كما لو أنها من "تأثير نظرات ترجع إلى السنة المتسامحة القديمة". ولكن مذ ذاك الوقت وبفضل أعمال هنري لاووست النيرة اكتشفنا مدى صلابة روح التسامح هذه في فكر ابن تيمية».[٤]

ويقول أيضاً مقدسي: «منذ عمل إجناس جولدتسيهر (Ignaz Goldziher) والمذهب الحنبلي هو كبش الفداء الأثير لدى الاتجاهات

(١) المرجع السابق، ص٣٩

(٢) المرجع السابق، ص٤٤

(٣) مقدسي، جورج، **الإسلام الحنبلي**، ص٤٤–٤٥

(٤) المرجع السابق، ص١٠٥

الحديثة في الدراسات الإسلامية. ولعله من الضروري–بالنسبة لي– أن أذكر أن دارسي الإسلاميات يدينون بالفضل العظيم لذلك العالم البارز الذي تُشكِّل أعماله في مجموعها أساساً من الأسس الصلبة في حقل دراستنا. بيد أنه –إذا جاز التعبير– كانت لديه بقعة عمياء فيما يتعلق بالمذهب الحنبلي، اكتسبها من المصادر المعادية للحنابلة وهي البقعة التي أُدرجت بطبيعة الحال في التراث الممتاز الذي تركه لنا».[١]

والخلاصة –كما يقول مقدسي–: «إن نتاج الأعمال التي أنجزها المستشرقون الذين ذكرناهم من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ترجع في معظمها إلى الرأي الذي كوَّنه هؤلاء المستشرقون عن "التفاهة" المزعومة للمذهب الحنبلي».[٢]

في خاتمة كتاب "الإسلام الحنبلي" يقول مقدسي: «مما سبق يتبين لنا بوضوح أن الحركة الحنبلية تظهر في مظهر يختلف تماماً عما نجده في كتبنا الوجيزة عن الإسلام. وكنت أنا نفسي قبلت لفترة طويلة الرواية التاريخية عن هذه الحركة كما توردها تلك الكتب الوجيزة. لكنني تأكدت في الأخير أن هذا العرض لا يتوافق مع الوقائع كما نجدها في المصادر»[٣]، ويضيف: «كانت الحركة الحنبلية في قلب الجماعة المسلمة. وهي منذ ولادتها وجدت نفسها تحمل مهمة حماية سنة الرسول وتراثه، أولاً في داخل الجماعة المسلمة نفسها، ثم ضد كل من يهاجمها من خارجها. وقد أورثها هذه المهمة مؤسسها الإمام أحمد بن حنبل، وهو واحد من الشخصيات

(١) مقدسي، جورج، **المذهب الحنبلي والتصوف**، ت: أحمد محمود إبراهيم، دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، ع١، خريف ٢٠١٦م، ص ٣٥٨–٣٥٩

(٢) مقدسي، جورج، **الإسلام الحنبلي**، ص٤٨

(٣) المرجع السابق، ص١٢٥

الأكثر تأثيراً في الإسلام».[١]

وبعد، فهكذا نجد أن جورج مقدسي بالرغم من تقديره لجولدزيهر إلا أنه كان واضحاً في انتقاده له ولغيره ممن كان لهم أراء تحط من شأن الحنابلة. وتعليقاً على موقف مقدسيي النقدي لجولدزيهر يقول أحمد العدوي: «ثمة سمة واضحة أيضاً في قراءة مقدسي للمصادر العربية؛ إذ كان مقدسي يقرأ النصوص العربية قراءة مضادة لقراءة جولدتسيهر غالباً. إن استقراء آثار مقدسي يُنبئ عن أن صاحبها قد سعى جاهداً، من خلال قراءته الخاصة للنصوص العربية، للتقليل من شأن قراءة جولدتسيهر لها، وقد فعل ذلك مقدسي بطرق متنوعة، منها إظهار قراءة جولدتسيهر على أنها قد عفى عليها الزمن، أو نقدها بوصفها مجرد قراءة أولية، أو من خلال وصف آراء جولدتسيهر بغير المكتملة بسبب عدم اطلاعه–أي جولدتسيهر– على بعض المصادر التي نُشرت بعد وفاته».[٢]

ويرى عبدالحكيم المطرودي أن مقدسي كان مصيباً عندما قرر أنه لم تكن الدراسات المتقدمة معنية بشكل واضح بالمدرسة الحنبلية. حيث أورد مقدسي كتاباً للمستشرق جوستاف بفانموللر (ت١٩٥٣م) حمل عنوان Handbuch der Islam– literature "موجز في أدب علوم الإسلام"، وطبع في عام ١٩٢٣م، وكان هذا الكتاب يهتم بحالة الدراسات الإسلامية منذ بداياتها كعلم أكاديمي جاد، وأورد عدداً من المستشرقين ممن لهم بعض الأعمال تتعلق بالمدرسة الحنبلية، لكن مقدسي يُعلِّق على هذا الكتاب بأنه من المستحيل أن يجد المرء من بين أولئك الذي ذكرهم بفانموللر من كان مهتما بدراسة المدرسة الحنبلية. إلا أن مقدسي استثنى جولدزيهر، وفي نفس

(١) المرجع السابق، ص١٢٥

(٢) مقدسي، جورج، **نشأة الكليات**، ص٦٣

الوقت قرر أن جولدزيهر كان يحط من قدر هذه المدرسة بشكل مفصل، كما فعل مع المدرسة الظاهرية. (١)

ويقول ياسين اغلالو عن كتاب "الإسلام الحنبلي": «تعتبر محاضرات جورج مقدسي المصنفة في كتابه هذا محاولة في الكتابة ضد التيار. إنها محاضرات تؤصل لاشتغال نقدي وعدم تقبل الروايات التاريخية بسذاجة ما لم تتوفر لنا المعلومات الكافية عن التاريخ»(٢) ويضيف: «والنتيجة في هذه المحاضرات هي أن تاريخ الحركة الحنبلية، بعيداً على أن تكون على هامش الإسلام، كانت الحركة الحنبلية في قلب الجماعة المسلمة». (٣)

المطلب الثاني: نقد جورج مقدسي لآراء استشراقية متفرقة

سأورد في هذا المطلب نماذج متفرقة انتقد فيها جورج مقدسي آراء بعض المستشرقين، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: انتقد جورج مقدسي المستشرق أ.ف. مهرن (ت ١٩٠٧م) الذي أعد مختصراً لكتاب "التبيين" لابن عساكر، باعتباره دراسة عن الأشعري والأشاعرة، وخصص فيه قسماً عن أهل الكلام، ويقول مقدسي منتقداً إياه: «لقد خصص المؤلف قسماً مطولاً للدفاع عن علم الكلام، وصنيعه هذا مذموم لا من جهة استطراده فحسب، بل من جهة مناقضته للغرض الذي صُنِّف لأجله، وهو الدفاع عن الأشعري وتبرئة ساحته مما نبه إليه أحد المعتزلة من افتراءات. فما الفائدة من صرف الجهد والوقت في إقناع

(١) ينظر: المطرودي، عبدالحكيم إبراهيم، **المذهب الحنبلي في ضوء دراسات استشراقية معاصرة**، مكتبة الرشد–الرياض، ط١، ١٤٤١هـ/٢٠١٩م، ص١٦

(٢) اغلالو، ياسين، **الإسلام الحنبلي**، مركز أفكار للدراسات والأبحاث، ٣ سبتمبر ٢٠١٨م، رابط الموقع:https://afkaar.center/

(٣) المرجع السابق.

معتزلي بجواز الاشتغال بعلم الكلام إذا كان المعتزلة أنفسهم هم من أسسوا هذا العلم؟ فهذا جهد لا جدوى منه وشبيه بصنيع من يحرث في البحر».[١]

ثانياً: وينتقد مقدسي أيضاً المستشرق كارل بيكر (ت ١٩٣٣م) في قوله بأن التصوف عبارة عن سد فجوة بين الفقه والكلام، فقال مقدسي: «فبالنسبة إلى كارل بيكر لم يفعل التصوف غير سد الفجوة التي خلفها الفقه والكلام، وكأن التصوف رد فعل على هذين الحقلين من حقول الدين، فرض نفسه على الإسلام كما لو أنه يفرض على جسم غريب».[٢]

ولأن كان هذا النقد صحيحاً من وجه، إلا أن المقدسي له موقفه المؤيد للتصوف، وسيأتي الحديث عنه في المبحث الثالث.

ثالثاً: مراجعته النقدية لما ذكره المستشرق آدم ميتز (ت ١٩١٧م) في كتابه "الحضارة الإسلامية في القرن الرابع عشر"، ومنها قول ميتز بأنه في نهاية القرن الرابع عشر الهجري فاقت مناهج علماء اللغة مناهج علماء العلوم الدينية في التدريس، فتخلوا طواعية عن الإملاء، مفضلين شرح المصنف، في أثناء قراءة أحد الطلاب له، واستشهد لكلامه بنقل عن السيوطي–رحمه الله–. فأورد مقدسي نص السيوطي وهو قوله: «وآخر من عَلِمتُه أَمْلى عَلَى طريقة اللغويين أبو القاسم الزجاجي، له أمالٍ كثيرة في مجلد ضخم، وكانت وفاته سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة، ولم أقف على أمال لأحدٍ بعده»[٣]، ثم قال مقدسي –في رده لكلام ميتز– بأن السيوطي «تحدث

---

(١) مقدسي، جورج، **الأشعري والأشاعرة في التاريخ الديني الإسلامي**، ت: أنيس مورو، مركز نماء للبحوث والدراسات–بيروت، ط١، ٢٠١٨م، ص٤٠–٤١

(٢) مقدسي، جورج، **الإسلام الحنبلي**، ص٨٤

(٣) السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ت: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية–بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ٢٦٩/٢

حذِراً متحفظاً بقوله: "من علمته"، أي أنه ببساطة لم يكن محيطاً علماً بالمصنفين الذين جاءوا بعد الزجاجي، وصنفوا الأمالي في مجال علم اللغة. ومع ذلك نجد أن مصنِّفي كُتب الأمالي استمروا في إملائها، في تتابع مستمر لثلاثة قرون بعد عصر الزجاجي، الذي كان آخر مصنف أمالٍ معروف لدى السيوطي».[١]

رابعاً: يرى مقدسي أن جولدزيهر أول من لفت الانتباه إلى البعد الفقهي عند الشافعي، ورأى –جولدزيهر– أن الشافعي إنما كان يريد ضبط تطبيق القياس بوصفه مصدراً شرعياً لاستنباط الحكم[٢]، ثم يقول مقدسي ناقداً لهذا الرأي: «والحق أن جولدتسيهر لم يكن معنياً بإسهامات الشافعي من حيث المبدأ، بل كان كل ما يعنيه هو أن الشافعي مجرد مرجع للمذهب الظاهري، وهو فرع شاذ من المذهب الشافعي، كان قد نبذ القياس بالكلية».[٣]

ويقول مقدسي في موضع آخر عن سبب اهتمام جولدزيهر –صاحب كتاب الظاهرية–[٤] بالشافعي–رحمه الله–: «وهكذا كان اهتمام جولدتسيهر بإسهام الشافعي نابعاً من دافع آني لموضوع دراسته عن المذهب الظاهري؛ إذ إن غرضه الأصيل من كتابه هذا– والذي لا يزال مرجعاً أساسياً للدراسات الفقهية الإسلامية– أن يعرض موقف المذهب

(١) مقدسي، جورج، **نشأة الإنسانيات**، ص٤٣٨–٤٣٩

(٢) المرجع السابق، ص١٣٠

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص١٣٠

(٤) للمزيد ينظر: غولدتسيهر، إغناس، **الظاهرية مذهبهم وتاريخهم**، ت: محمد أنيس مورو، نماء للبحوث والدراسات–بيروت، ط١، ٢٠٢١م

الظاهري بكونه أنموذجاً أثرياً متطرفاً ناشئاً عن المذهب الظاهري».[١]

خامساً: نجد أيضاً مقدسي يراجع بعض آراء المستشرق ربيرا بالرغم من موافقته له على آراء أخرى، كالإجازة المدرسية وغيرها، كما مر آنفاً في المبحث الأول، وذلك مثل انتقاده له في تبنيه دور الحكومة في المدارس الإسلامية في العهد الإسلامي الزاهر، فيقول مقدسي: «كما أنه عندما يتحدث عن دور الحكومة فيما يتعلق بالمعاهد العلمية، فإنه يقع في الخطأ الذي ما زال شائعاً في كتبنا، ونقصد بذلك القول بأن هذه المدارس كانت معاهد علمية حكومية، وهو نفس الرأي الذي أخذ به الباحثون الذين أتوا من بعده ..».[٢]

سادساً: وانتقد مقدسي أيضاً آراء المستشرق ماكس فان برشم (ت ١٨٦٣م)، بالرغم من إقرار مقدسي لمكانته العلمية بقوله: «إن ما نطالعه في كُتبنا عن معاهد العلم الإسلامية يعتمد في الجانب الأكبر منه على مؤلفات هذا الباحث المبرز»[٣]، إلا أن ذلك لم يمنعه من إجراء مراجعة نقدية له. حيث يقول مقدسي –منتقداً– بعد عرضه لآراء فان برشم: «ويزيد من تميز آرائه أنها بنيت على أساس خليط غريب من الحقيقة والخيال».[٤]

ونجد مقدسي أيضاً يضيف بعض الملاحق على كتابه "نشأة الكليات"، حيث عرض فيها آراء بعض المستشرقين حول المدارس

---

(١) مقدسي، جورج، **الشافعي وأصول المتكلمين: نشأة علم أصول الفقه وأهميته**، ت: يوسف وهب، تراث للبحوث والدراسات–القاهرة، ط١، ١٤٤٠هـ/٢٠٢٠م، ص٣٤

(٢) مقدسي، جورج، **نشأة الكليات**، ص٤٥٦

(٣) المرجع السابق، ص٤٥٧

(٤) المرجع السابق، ص٤٦٢

الإسلامية، ثم انتقدها بصورة علمية، ومن ذلك عرضه السابق لآراء ماكس فان برشم، ثم عرضه لآراء جولدزيهر ونقدها [١]، ثم عرضه أيضاً لرأي يوسف إيخه ونقده.[٢]

وبعد، فمن خلال ما مضى من نماذج نقدية من جورج مقدسي لآراء جملة من المستشرقين، وفي مقدمتهم جولدزيهر، يتضح الآتي:

أولاً: أن جورج مقدسي ينطلق من قاعدة علمية في نقده لآراء المستشرقين، يتضح فيها اطلاعه الواسع على المصادر العربية والغربية، وكذلك من فهمه الدقيق للاختلافات المذهبية في التاريخ الإسلامي.

ثانياً: أنه يحتفظ بقدر كبير من الاحترام والتبجيل للمستشرقين الذين انتقد آراءهم، خاصة جولدزيهر، الذي يكرر –مقدسي– دائماً احترامه وتقديره ومكانته العلمية العالية.

ثالثاً: أن عرضي لنماذج من المنهج النقدي لمقدسي لا يعني بالضرورة موافقته على نقده، وإنما إيرادي لها من باب التعرف على طريقته ومنهجه في التعاطي مع آراء غيره من المستشرقين.

يقول مقدسي: «انتمى عدد كبير من الحنابلة للصوفية المتسننة، الذين عارضوا بشدة الصوفية المتكلمة، وبخاصة الأشاعرة،...، وقد شككت لفترة طويلة في كون ابن عقيل صوفياً، وكذا العديد من أقرانه الحنابلة. لكن بسبب استتابته[٣]، التي تبرأ فيها من الجزء الذي وضعه في نصرة الحلاج "النصرة" توجب عليه الحذر من إظهار صوفيته، وإلا شُك في عودته لما

(١) ينظر: المرجع السابق، ص٤٦٤–٤٧٠

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٤٧١–٤٧٩

(٣) للاطلاع على نص استتابة ابن عقيل ينظر: ابن رجب، عبدالرحمن، **ذيل طبقات الحنابلة**، ت: عبدالرحمن العثيمين، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ٣٢٢/١

تبرأ منه،...، وعلى النقيض من إجلاله لمتقدمي الصوفية، الذين تصوفوا على هدي الشرع، ازدرى ابن عقيل صوفية الشام».[١]

ويرى مقدسي في موضع آخر أن التبرؤ من الحلاج في نص استتابة ابن عقيل –رحمه الله– يُعد أمراً متناقضاً؛ وذلك –كما يزعم– لوجود حنابلة من الصوفية الزهاد في ذلك الوقت، ولعدم وجود إجماع بين الفقهاء على إدانة الحلاج كما افترض ذلك ماسينيون، رغم ما ورد في نص الاستتابة "وأنه قتل بإجماع فقهاء عصره".[٢]

وفي كتاب "الإسلام الحنبلي" خصص مقدسي القسم الثالث منه للحديث عن هذا الأمر، وإثبات ما ذهب إليه، وجعل عنوانه "الصوفية والحنبلية"، ومما قاله فيه: «والحقيقة أن الوثائق والمخطوطات التي بين أيدينا منذ زمن طويل تكشف عن علاقة وثيقة بين الحنبلية والتصوف»[٣] ، ثم أيَّد ماسينيون في قوله بأن التصوف نشأ من داخل الإسلام، واختلف معه في مسألة عداء الحنابلة للتصوف، خاصة ابن الجوزي وابن تيمية وابن القيم. بل ذهب مقدسي إلى أبعد من ذلك في اعتبار ابن تيمية صوفياً وقد لبس خرقة التصوف!.[٤]

والحق أن مقدسي قد جانب الصواب في هذا الطرح، فهو أولاً: لم يحرر مصطلح الصوفية في كتابه هذا أو في كتبه الأخرى –المترجمة

---

(١) ينظر: مقدسي، جورج، **ابن عقيل: الدين والثقافة في الإسلام الكلاسيكي**، ص٢٨٦–٢٨٧ بتصرف

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٨٧

(٣) مقدسي، جورج، **الإسلام الحنبلي**، ص٨٨

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص٩٠–٩٩، وقد عرض مقدسي هذه الأفكار في مقال آخر له بعنوان The Hanbali School and Sufism "المذهب الحنبلي والتصوف"، نشر عام ١٩٧٤م

للعربية–، ولم يبين الفرق بين الزهد والتصوف. وثانياً: لم يلتزم بالموضوعية العلمية التي نراها في كتاباته الأخرى، التي ترتكز على العودة إلى المصادر بالدرجة الأولى، ولو رجع لكتب ابن تيمية –رحمه الله– لوجد فيها ما يجعله يتراجع عن رأيه. وثالثاً: هذه الشخصيات التي أوردها كأمثلة على تجذر التصوف في الحنبلية، لم يورد لها من كتبهم ما يثبت تصوفهم وانتسابهم لطرق صوفية.(١)

ولعل حب الباحث للمذهب الحنبلي بشكل عام ولابن عقيل –رحمه الله– بشكل خاص جعله يميل إلى هذا الرأي الخاطئ وينتصر له. ولا يفوت أيضاً تأثره، بادئ ذي بدء، بأستاذه لاووست، الذي يحمل نفس التقدير للحنابلة، وكذلك تأثره بآراء صديقه ماسينيون، الذي تابعه مقدسي في مسألة الحلاج، وأصالة التصوف في الإسلام.

بقي أن أشير إلى البيئة الفكرية الغربية التي ينطلق منها جورج مقدسي، هي التي اهتم أهلها من المستشرقين بالتصوف أيما اهتمام، ومن أبرزهم في هذا الميدان لويس ماسينيون ورينولد نيكلسون (ت ١٩٤٥م). ولعل قول عمر فروخ في سبب اهتمامهم بالتصوف يختصر المقصود، إذ يقول: «إذا سلط الله على قوم ظلماً، فليس لأحد أن يقاوم إرادة الله أو يتأفف منها. ولا شك أن الأوربيين قد عرفوا في الصوفية هذا المعتقد فاستغلوه في أعمالهم».(٢)

ثانياً: أخطأ مقدسي في عد ابن عقيل –رحمه الله– من العقلانيين،

---

(١) للمزيد حول مناقشة هذه المسألة ينظر: الشهري، سالم محمد، **علاقة الحنابلة بالصوفية والتصوف: مناقشة لكتاب الإسلام الحنبلي**، مركز نماء للبحوث والدراسات–بيروت، ٢٠١٧م.

(٢) فروخ، عمر، **التصوف في الإسلام**، مكتبة منيمة– بيروت، ط١، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م، ص٢٠٠

حيث يقول في كتابه "ابن عقيل": «وقد نوقشت قضية ابن عقيل، داخل المذهب الحنبلي، في أشخاص الشريف وابن عقيل، حيث مثلا توجهي أهل السنة: أحدهما تقليدي، والآخر عقلاني. وأثَّر الأخير منهما في تطور الحركة الحديثية خلال فترة الإسلام الكلاسيكي، حتى نهاية القرن الرابع عشر (الميلادي). وعليه، فقد تسرب للمذهب الحنبلي، في القرن الحادي عشر (الميلادي)، شرارة عقلية في أشخاص اثنين من رؤساء المذهب: القاضي أبو يعلى، وابن عقيل» [١]، وفي كتابه الآخر "الأشعري والأشاعرة" يذكر مقدسي –بوضوح– الفرق بين أهل الحديث وأهل العقل في استخدام العقل، فيقول: «أهل الحديث استخدموا العقل من أجل فهم القرآن والسنة، وهما عندهم مصدرا التشريع الحقيقيان. وما عجزوا عن فهمه؛ قبلوه كما ورد في القرآن والسنة، ولم يستعملوا العقل لتأويل النصوص معرضين عن القول بالمجاز. وفي المقابل: قدم العقلانيون العقل على النص القرآني والسنة النبوية، وكلما وجدوا أمراً منافياً للعقل تأولوه وعدوه مجازاً؛ ليوافق ما يقتضيه التفكير العقلاني».[٢]

وعليه فلا يمكن أن يكون ابن عقيل –رحمه الله– على هذه الصفة العقلية التي ذكرها المقدسي. ولكن الميل الكبير من مقدسي لابن عقيل جعله، دون تمحيص وتدقيق، يقول عنه هذا، ويصفه أيضاً بأنه كان متصوفاً مقدراً للحلاج حتى بعد استتابته، كما مر آنفاً.

ثالثاً: وصف مقدسي المذاهب الإسلامية بأنها "تنظيمات نقابية" Guilds، وذلك في معرض بحثه عن القوى التي أفرزت المدرسة في الإسلام. وحشد مقدسي لهذا الوصف مجموعة من الاجتهادات. ولكن وصفه

(١) مقدسي، جورج، **ابن عقيل: الدين والثقافة في الإسلام الكلاسيكي**، ص٣٣٠

(٢) مقدسي، جورج، **الأشعري والأشاعرة**، ص٩٠–٩١

هذا أثار جدلاً قديماً، كان يُظن أنه انتهى بموت أطرافه، وهو الجدل الذي قام بعد فرضية ماسينيون التي تقول بأن المدنية في الإسلام قامت على تنظيم من النقابات الأهلية شبه المستقلة. ولكنه لم يورد لفرضيته وثائق أو أدلة تاريخية. وانبرى مجموعة من المستشرقين للرد عليها، وتزعمهم المستشرق كلود كاهن (ت ١٩٩١م)، الذي ذكر بأن وجودها -كما يقول ماسينيون- في عصر الإسلام الكلاسيكي لم يكن متصوراً.

ومن المستشرقين الذين ردوا على مقدسي روبرت سيرجانت (ت ١٩٩٣م) الذي ذكر في معرض رده على مقدسي أن وجود هذه النقابات -كما أصر على ذلك مقدسي- أو عدم وجودها، لا يؤثر قط على فرضية مقدسي بأن الكليات الأوروبية القروسطية، وكذلك النزعة الإنسانية في عصر النهضة الإيطالية كانت لها جذور عميقة في التربة الإسلامية.(١)

وعلى كل حال يبقى التحفظ منا على هذا الوصف الذي أطلقه مقدسي، لأننا نعي في ثقافتنا معنى "مذهب"، وأنها مؤسسة للرأي أو مدرسة دينية، تأسست على قواعد دينية. ولعل مقدسي انطلق في وصفه هذا من البيئة الغربية التي تتجذر فيها هذه الأسماء والأوصاف.

رابعاً: يرى مقدسي أن "إجازة التدريس والافتاء" قد اقتصرت على الفقه فحسب في سياق الحضارة الإسلامية، بينما طبقها الغرب على جميع حقول المعرفة فيما بعد. وهذا الرأي محل نظر، فعندما نُسلِّم بأنه دُرِّس، إلى جانب الفقه، عدد كبير من الحقول الأخرى، مثل: الأدب، والنحو، والحديث، والتفسير، والوعظ، في المدرسة التي أنشئت لتدريس الفقه، وعندما نضع في اعتبارنا أن عدداً كبيراً من خريجي تلك المدارس صاروا علماء يشار إليهم

(١) ينظر: مقدمة أحمد العدوي: مقدسي، جورج، **نشأة الإنسانيات**، ص٦٧-٨٥، وناقش مقدسي هذه المسألة ص١٣٧-١٤٩

بالبنان في فروع أخرى من المعرفة سوى الفقه. هذه الحقائق تجعلنا لا نسلم بما ذهب إليه مقدسي من أن "إجازة التدريس والإفتاء" كانت لغرض واحد وهو تخريج الفقهاء.(١)

خامساً: زعم مقدسي أن علم أصول الدين، وعلم أصول الفقه، وعلم الكلام ثلاث عقائد منفصلة، حملت كل منها أسباب نشأتها. ولم ينجح مقدسي في إقامة حد فاصل بين علم أصول الفقه وعلم أصول الدين، وجاءت عباراته غامضة كما لو كانت تصور كلا العلمين وكأنهما وجهان للعملة ذاتها.(٢)

سادساً: أن مقدسي اجتهد في بحثه عن علوم مستقلة، بل وأدبيات خاصة بكل حركة فكرية على حدة، مثل تصوره لعلم أصول الفقه على أنه علم طوره أهل الحديث ليكون معادلاً موضوعياً لعلم الكلام عند المعتزلة من أهل العقل. لكننا نجد إقبال المتكلمين من المعتزلة على التصنيف في هذا العلم (ما عرف بطريقة المتكلمين في علم الأصول)، بدلاً من التصنيف في دحضه. ولذلك نجد ارتباكاً في تفسير مقدسي لهذا الأمر وضعفاً في حجته.(٣)

سابعاً: أشار مقدسي في كتابه "نشأة الإنسانيات" إلى أن المفتي يأخذ مالاً(٤). وهذا بطبيعة الحال خطأ من مقدسي. فهذا الأمر لم يكن، سواء في

(١) ينظر: مقدمة أحمد العدوي، مقدسي، جورج، **نشأة الإنسانيات**، ص٧١

(٢) ينظر: مقدمة أحمد العدوي، المرجع السابق، ص٦٦-٦٧، وينظر تفصيل مقدسي لهذا أيضاً في: جورج مقدسي، **ابن عقيل: الدين والثقافة في الإسلام الكلاسيكي**، ص١٢٩-١٣٢

(٣) ينظر: مقدمة أحمد العدوي، مقدسي، جورج، **نشأة الإنسانيات**، ص٦٦

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص١٦٣

عصور الإسلام الأولى أو في وقتنا المعاصر، فالمفتي في جوابه عن أسئلة المستفتي يؤدي واجباً دينياً عليه، ولا يرجو من وراء ذلك مالاً.

ثامناً: وقع مقدسي في عدة أخطاء علمية في كتابه "الشافعي وأصول المتكلمين"، وذلك –كما في مقدمة الكتاب– لعدم اطلاع مقدسي على بعض المصادر أثناء إعداده لكتابه، وكتاب "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام" للإمام الذهبي، الذي كان حينها مخطوطاً، وكتاب "العبر في خبر من غبر"، للذهبي، والذي كان مطبوعاً حينها.(١)

تاسعاً: وقع مقدسي في أخطاء أثناء تحقيقه لبعض المخطوطات، وقد ذكر أحمد العدوي في مقدمته لكتاب "يوميات فقيه حنبلي" تلك الأخطاء والتصحيفات، الأمر الذي جعل العدوي يعيد النظر في المخطوطة الأصلية، ويقابل بين النص الأصلي للمخطوطة ونص اليوميات الذي نشره مقدسي، وأضاف العدوي إليه تعليقات (استدراكات) على تعليقات مقدسي. وذكر أن مقدسي اعتاد على أن يتجرأ على النص عندما يُشكل عليه، وضرب لذلك أمثلة عديدة.(٢)

وأما عن تحقيق مقدسي لكتاب ابن عقيل "الواضح في أصول الفقه" فيقول الدكتور عبدالله التركي–الذي قام بتحقيق الكتاب ونشره–: «وقد وصلتني– والكتاب تحت الطبع– نسخة مطبوعة من الجزء الأول من

(١) ينظر: مقدسي، جورج، **الشافعي وأصول المتكلمين: نشأة على أصول الفقه وأهميته**، ص١٧–٢١

(٢) ينظر: مقدمة أحمد العدوي: ابن البناء الحنبلي، **يوميات فقيه حنبلي من القرن الخامس الهجري: تعليقات ابن البناء الحنبلي لحوادث عصره**، تحقيق: جورج مقدسي، عناية وتعليق أحمد العدوي، مدارات للأبحاث والنشر–القاهرة، ط٢، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م، ص٦٠–٦٨

الكتاب أصدرها الدكتور جورج مقدسي، وكان الدكتور فؤاد سزكين قد أطلعني على مسودتها منذ سنوات عديدة، وهي على طريقة المستشرقين التي لا تضيف جديداً على طبع النَصّ كما هو».[١]

وبعد، فمن خلال النظر في هذه النماذج من الأخطاء نرى أن بعضها قد خالف منهجية مقدسي في الرجوع إلى المصادر والانطلاق منها، وبعضها الآخر يقع ضمن ما يمكن تسميته بانطباعات أو آراء ذاتية، ومنها ما كان عبر استنتاجات خاطئة أو قصور عن فهم الأدلة وتوجيهها، أو لعدم الاطلاع على المصادر الأصلية.

وبشكل عام يمكن القول إن جورج مقدسي من المستشرقين الذين أنصفوا الإسلام أولاً: عبر فكرته التي قامت على المقارنة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، ودونها في كتابيه "نشأة الكليات"، و"نشأة الإنسانيات". وثانياً: عبر تصديه –علمياً– لآراء شخصيات علمية استشراقية بارزة، من أمثال جولدزيهر- التي لا زالت تحدث أثرها في الغرب، ولا زالت تقع عند المسلمين في جانب الأفكار والآراء التي أضرت بصورة الإسلام والمسلمين.

وأما هذه الأخطاء التي وقع فيها مقدسي، فهي لا تقبل منه أولاً، وثانياً لا يمكن أن تجعله في عداد المستشرقين المغرضين أو الحاقدين على الإسلام والمسلمين.

(١) ابن عقيل، علي، **الواضح في أصول الفقه**، ت: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة–بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ٨/١

الخاتمة

أولاً: النتائج:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له على تمام هذا البحث الذي من أبرز نتائجه الآتي:

١. أن جورج مقدسي اتبع المنهج العلمي التاريخي في المقارنة بين الحضارة الإسلامية والغرب المسيحي.

٢. أن مقدسي قارن بين النظام التعليمي والنزعة الأدبية (الإنسانية) بين الإسلام في القرون الزاهرة وبين الغرب، أو ما يسميها المستشرقون "عصر الإسلام الكلاسيكي"

٣. أن جورج مقدسي وصل إلى نتيجة واضحة وهي أن الحضارة الغربية تأثرت في نشأتها بما كان عند المسلمين في ميداني التعليم والعلوم الإنسانية. ودون هذا في دراستين علميتين وهما "نشأة الكليات" و"نشأة الإنسانيات".

٤. أن نتيجة مقارنة جورج مقدسي بين الحضارتين الإسلامية والغربية قوبلت بالنقد من بعض المستشرقين الآخرين، خاصة من أنصار المركزية الغربية.

٥. أن نتيجة هذه المقارنة التي قام بها جورج مقدسي وجدت ترحيباً وإشادة في العالم الإسلامي.

٦. أن جورج مقدسي مال بشكل واضح في كتبه إلى تأييد المذهب الحنبلي والدفاع عنه، واعتباره جوهر الإسلام. ويعود ميله في الأساس إلى تأثره بأستاذه المستشرق هنري لاووست، وأيضاً إلى وقوفه على المصادر التاريخية التي تؤيد ما ذهب إليه.

٧. انتقد جورج مقدسي بكل وضوح مستشرقي القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشريين الميلاديين، الذين –كما يذكر– رسموا صورة سيئة عن المذهب الحنبلي، وفي مقدمتهم المستشرق جولدزيهر.

٨. انتقد جورج مقدسي أراء مجموعة من المستشرقين الآخرين، في قضايا متنوعة، وكان عمدته في نقده الرجوع إلى المصادر والوثائق التاريخية.

٩. وقع جورج مقدسي في نتاجه العلمي، الموزع ما بين تحقيق مخطوطات وتأليف كتب وأبحاث، في مجموعة من الأخطاء العلمية، التي كان لها أسبابها المتنوعة.

١٠. من أكبر الأخطاء التي وقع فيها جورج مقدسي أنه ذهب إلى القول بالتوافق ما بين الحنبلية والتصوف، وأن أعلام الحنبلية، كابن تيمية – رحمه الله– كانوا متصوفة. وهذا ما يرده الواقع التاريخي للحنبلية والمصادر المتوفرة لهؤلاء الأعلام.

١١. أن النظر بشكل عام في تراث المستشرق جورج مقدسي يحمل على القول بأنه من المستشرقين المنصفين للإسلام والمسلمين.

ثانياً: التوصيات

من خلال ما مضى من نتائج أرى التوصية بالآتي:

١. إجراء المزيد من الدراسات والأبحاث العلمية حول تراث المستشرق جورج مقدسي.

٢. إنشاء كراسٍ علمية في جامعاتنا للدراسات المقارنة بين الإسلام والغرب.

٣. ترجمة المؤلفات العربية التي تتناول الحضارة الإسلامية إلى اللغات الغربية.

وصلى الله على نبينا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

١. ابن رجب، عبدالرحمن، **ذيل طبقات الحنابلة**، ت: عبدالرحمن العثيمين، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م

٢. ابن عقيل، علي، **الواضح في أصول الفقه**، ت: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة–بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م

٣. اغلالو، ياسين، **الإسلام الحنبلي**، مركز أفكار للدراسات والأبحاث، ٣ سبتمبر ٢٠١٨م، رابط الموقع: https://afkaar.center/

٤. باتون، ولتر. م، **أحمد بن حنبل والمحنة**، ت: عبدالعزيز عبد الحق، دار الهلال، ط ت بدون.

٥. الجليند، محمد السيد، **الاستشراق والتبشير: قراءة تاريخية موجزة**، دار قباء للطباعة والنشر–القاهرة، ١٩٩٩م

٦. حازم خيري، **آلام من نسيج خاص: مقالات في الفكر الأنسني**، E–Kutub Ltd، ٢٠١١م

٧. الحنبلي، ابن البناء، **يوميات فقيه حنبلي من القرن الخامس الهجري: تعليقات ابن البناء الحنبلي لحوادث عصره**، تحقيق: جورج مقدسي، عناية وتعليق أحمد العدوي، مدارات للأبحاث والنشر–القاهرة، ط٢، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م

٨. دانيال، نورمان، **الإسلام ونشأة الكليات في أوروبا**، ت: هند أحمد، ٢٠١٧م، نماء للبحوث والدراسات، الرابط: https://nama–center.com/Articles/Details/40800

٩. دبشي، حامد، **مراجعة كتاب "نشأة الإنسانيات" لجورج مقدسي**، ترجمة: مصطفى هندي، موقع أثارة، الرابط: https://atharah.net

١٠. رضا، أحمد، **معجم متن اللغة/ موسوعة لغوية حديثة**، دار مكتبة

الحياة ببيروت، ط بدون، ١٣٨٠هـ -١٩٦٠م، ٣/٣١٠، مادة "ش ر ق".

١١. ساسي، سالم الحاج، **نقد الخطاب الاستشراقي: الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية**، دار المدار الإسلامي-بيروت، ط١، ٢٠٠٢م

١٢. سعيد، إدوارد، **الاستشراق/المفاهيم الغربية للشرق**، ت: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٦م

١٣. سمايلوفتش، أحمد، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**، ط بدون، ت بدون

١٤. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ت: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م

١٥. شموني، أمل، **أمريكا تتكلم العربية**، مجلة هاي (hi)- واشنطن، فبراير ٢٠٠٤م

١٦. الشهري، سالم محمد، **علاقة الحنابلة بالصوفية والتصوف: مناقشة لكتاب الإسلام الحنبلي**، مركز نماء للبحوث والدراسات-بيروت، ٢٠١٧م.

١٧. العقيقي، نجيب، **المستشرقون**، دار المعارف-القاهرة، ط٤

١٨. غولدتسيهر، إغناس، **الظاهرية مذهبهم وتاريخهم**، ت: محمد أنيس مورو، نماء للبحوث والدراسات-بيروت، ط١، ٢٠٢١م

١٩. فاطمة حافظ، **جورج مقدسي ومشروعه المعرفي: عرض موجز**، إسلام أو لاين: https://islamonline.net/

٢٠. فروخ، عمر، **التصوف في الإسلام**، مكتبة منيمة- بيروت، ط١،

١٣٦٦هـ/١٩٤٧م

٢١. لاووست، هنري، **الثقافة الإسلامية**، مجلة الحديقة، ع١١، ١يناير ١٩٣٣م

٢٢. لاووست، هنري، **الحركة السلفية والصفات العامة لوجهتها المعاصرة**، مجلة المغرب الجديد، ع٨، شوال ١٣٥٤م/ يناير ١٩٣٦م

٢٣. لاووست، هنري، **النظريات الاجتماعية والسياسية لشيخ الإسلام**، ت: محمد عبدالعظيم علي، تعليق مصطفى حلمي، دار الأنصار- القاهرة، ط١، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م

٢٤. محمد، إسماعيل علي، **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل/ مدخل علمي لدراسة الاستشراق**، دار الكلمة، ط٣، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م

٢٥. المطرودي، عبدالحكيم إبراهيم، **المذهب الحنبلي في ضوء دراسات استشراقية معاصرة**، مكتبة الرشد-الرياض، ط١، ١٤٤١هـ/٢٠١٩م

٢٦. مقدسي، جورج، **ابن عقيل: الدين والثقافة في الإسلام الكلاسيكي**، ت: محمد إسماعيل خليل، مركز نماء للبحوث والدراسات-بيروت، ط١، ١٠١٨م

٢٧. مقدسي، جورج، **الإسلام الحنبلي**، ت: سعود المولى، الشبكة العربية للأبحاث والنشر-بيروت، ط١، ٢٠١٧م

٢٨. مقدسي، جورج، **الأشعري والأشاعرة في التاريخ الديني الإسلامي**، ت: أنيس مورو، مركز نماء للبحوث والدراسات-بيروت، ط١، ٢٠١٨م

٢٩. مقدسي، جورج، **الشافعي وأصول المتكلمين: نشأة علم أصول الفقه وأهميته**، ت: يوسف وهب، تراث للبحوث والدراسات-القاهرة، ط١، ١٤٤٠هـ/٢٠٢٠م

٣٠. مقدسي، جورج، **المذهب الحنبلي والتصوف**، ت: أحمد محمود إبراهيم، دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، ع١، خريف ٢٠١٦م

٣١. مقدسي، جورج، **نشأة الإنسانيات عند المسلمين وفي الغرب المسيحي**، ت: أحمد العدوي، مدارات للأبحاث والنشر– القاهرة، ط١، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م

٣٢. مقدسي، جورج، **نشأة الكليات: معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب**، ت: محمود سيد محمد، مدارات للأبحاث والنشر–القاهرة، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م

٣٣. مقدسي، جورج، **نشأة الكليات: معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب**، ت: محمود سيد محمد، مركز النشر العلمي– جامعة الملك عبدالعزيز، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

٣٤. مصباح، محمد مجدي السيد، **النقد الذاتي للخطاب الاستشراقي، جورج مقدسي نموذجاً**، مجلة دراسات استشراقية، لبنان، ع٣٢، خريف ٢٠٢٢م/١٤٤٣هـ.

٣٥. **الموسوعة العربية العالمية**، موقع الموسوعة: www.mawsoah.net

٣٦. **مؤسسة جوجنهايم**، https://www.gf.org/fellows/george–makdisi/

٣٧. النملة، علي، **المستشرقون ونشر التراث**، الرياض ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م

٣٨. النملة، علي، **المؤلف الموسوعي نجيب العقيقي وكتابه "المستشرقون"**، بيسان– بيروت، ط١، ١٤٤٣هـ

٣٩. واردنبرغ، جان دي جاك، **المستشرقون**، ت: أنيس عبدالخالق

محمود، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠١٤م

٤٠. الوزان، عدنان محمد، **الاستشراق والمستشرقون/ وجهة نظر**، ط، ت بدون

٤١. ينظر: الوهيبي، عبدالله عبدالرحمن، **حول الاستشراق الجديد**، مركز البحوث والدراسات–القاهرة، ط١، ١٤٣٥هـ

References:

1. abn rgb ،3bdalr7mn ،zyl 6b8at al7nabla ،t: 3bdalr7mn al3thymyn ،61 ،1425h/2005m
2. abn 38yl ،3ly ،aload7 fy asol alf8h ،t: 3bdallh bn 3bdalm7sn altrky ،m2ssa alrsala-byrot ،61 ، 1420h/1999m
3. aghlalo ،yasyn ،al eslam al7nbly ،mrkz afkar lldrasatwalab7ath ،3 sbtmbr 2018m ،rab6 almo83: https://afkaar.center/
4. baton،wltr. m ،a7md bn 7nblwalm7na ،t: 3bdal3zyz 3bd al78 ،dar alhlal ،6 t bdon.
5. alglynd ،m7md alsyd ،alastshra8waltbshyr: 8ra2a tary5ya mogza ،dar 8ba2 ll6ba3awalnshr-al8ahra ، 1999m
6. 7azm 5yry ،alam mn nsyg 5as: m8alat fy alfkr alansny ، e-kutub ltd ،2011m
7. al7nbly ،abn albna2 ،yomyat f8yh 7nbly mn al8rn al5ams alhgry: t3ly8at abn albna2 al7nbly l7oadth 3srh ،t78y8: gorg m8dsy ،3nayawt3ly8 a7md al3doy ، mdarat llab7athwalnshr-al8ahra ،62 ،1442h/2021m
8. danyal ،norman ،al eslamwnshaa alklyat fy aoroba ،t: hnd a7md ،2017m ،nma2 llb7othwaldrasat ،alrab6: https://nama-center.com/articles/details/40800
9. dbshy ،7amd ،mrag3a ktab "nshaa al ensanyat" lgorg m8dsy ،trgma: ms6fy hndy ،mo83 athara ،alrab6: https://atharah.net
10. rda ،a7md ،m3gm mtn allgha/ moso3a lghoya 7dytha ، dar mktba al7yaa bbyrot ،6 bdon ،1380h**1960–** m ، 3/310 ،mada "sh r 8".

11. sasy ،salm al7ag ،n8d al56ab alastshra8y: alzahra alastshra8yawathrha fy aldrasat al eslamya ،dar almdar al eslamy-byrot ،61 ،2002m
12. s3yd ،edoard ،alastshra8/almfahym alghrbya llshr8 ،t: m7md 3nany ،r2ya llnshrwaltozy3 ،61 ،2006m
13. smayloftsh ،a7md ،flsfa alastshra8wathrha fy aladb al3rby alm3asr ،6 bdon ،t bdon
14. alsyo6y ،3bdalr7mn bn aby bkr ،almzhr fy 3lom allghawanoa3ha ،t: f2ad 3ly mnsor ،dar alktb al3lmya-byrot ،61 ،1418h/1998m
15. shmony ،aml ،amryka ttklm al3rbya ،mgla hay (hi)-washn6n ،fbrayr 2004m
16. alshhry ،salm m7md ،3la8a al7nabla balsofyawaltsof: mna8sha lktab al eslam al7nbly ،mrkz nma2 llb7othwaldrasat-byrot ،2017m.
17. al38y8y ،ngyb ،almstshr8on ،dar alm3arf-al8ahra ،64
18. gholdtsyhr ،eghnas ،alzahrya mzhbhmwtary5hm ،t: m7md anys moro ،nma2 llb7othwaldrasat-byrot ،61 ، 2021m
19. fa6ma 7afz ،gorg m8dsywmshro3h alm3rfy: 3rd mogz ،eslam ao layn: https://islamonline.net/
20. fro5 ،3mr ،altsof fy al eslam ،mktba mnyma- byrot ،61 ، 1366h/1947m
21. laoost ،hnry ،alth8afa al eslamya ،mgla al7dy8a ،311 ، 1ynayr 1933m
22. laoost ،hnry ،al7rka alslfyawalsfat al3ama loghtha alm3asra ،mgla almghrb algdyd ،38 ،shoal 1354m/ ynayr 1936m

23. laoost ،hnry ،alnzryat alagtma3yawalsyasya lshy5 al eslam ،t: m7md 3bdal3zym 3ly ،t3ly8 ms6fy 7lmy ،dar alansar-al8ahra ،61 ،1396h/1976m
24. m7md ،esma3yl 3ly ،alastshra8 byn al78y8awaltdlyl/ md5l 3lmy ldrasa alastshra8 ،dar alklma ،63 ،1421h-**2000**m
25. alm6rody ،3bdal7kym ebrahym ،almzhb al7nbly fy do2 drasat astshra8ya m3asra ،mktba alrshd-alryad ،61 ، 1441h/2019m
26. m8dsy ،gorg ،abn 38yl: aldynwalth8afa fy al eslam alklasyky ،t: m7md esma3yl 5lyl ،mrkz nma2 llb7othwaldrasat-byrot ،61 ،1018m
27. m8dsy ،gorg ،al eslam al7nbly ،t: s3od almoly ،alshbka al3rbya llab7athwalnshr-byrot ،61 ،2017m
28. m8dsy ،gorg ،alash3rywalasha3ra fy altary5 aldyny al eslamy ،t: anys moro ،mrkz nma2 llb7othwaldrasat-byrot ،61 ،2018m
29. m8dsy ،gorg ،alshaf3ywasol almtklmyn: nshaa 3lm asol alf8hwahmyth ،t: yosfwhb ،trath llb7othwaldrasat-al8ahra ،61 ،1440h/2020m
30. m8dsy ،gorg ،almzhb al7nblywaltsof ،t: a7md m7mod ebrahym ،dorya nma2 l3lom alo7ywaldrasat al ensanya ،31 ،5ryf 2016m
31. m8dsy ،gorg ،nshaa al ensanyat 3nd almslmynwfy alghrb almsy7y ،t: a7md al3doy ،mdarat llab7athwalnshr- al8ahra ،61 ،1442h/2021m

32. m8dsy ،gorg ،nshaa alklyat: m3ahd al3lm 3nd almslmynwfy alghrb ،t: m7mod syd m7md ،mdarat llab7athwalnshr-al8ahra ،61 ،1436h/2015m
33. m8dsy ،gorg ،nshaa alklyat: m3ahd al3lm 3nd almslmynwfy alghrb ،t: m7mod syd m7md ،mrkz alnshr al3lmy- gam3a almlk 3bdal3zyz ،1414h/1994m
34. msba7 ،m7md mgdy alsyd ،aln8d alzaty ll56ab alastshra8y ،gorg m8dsy nmozga ،ًmgla drasat astshra8ya ،lbnan ،332 ،5ryf 2022m/1443h.
35. almoso3a al3rbya al3almya ،mo83 almoso3a: www.mawsoah.net
36. m2ssa gognhaym ،https://www.gf.org/fellows/george-makdisi/
37. alnmla ،3ly ،almstshr8onwnshr altrath ،alryad 1424h-**2003**m
38. alnmla ،3ly ،alm2lf almoso3y ngyb al38y8ywktabh "almstshr8on" ،bysan- byrot ،61 ،1443h
39. wardnbrgh ،gan dy gak ،almstshr8on ،t: anys 3bdal5al8 m7mod ،alm2ssa al3rbya lldrasatwalnshr ،61 ،2014m
40. alozan ،3dnan m7md ،alastshra8walmstshr8on/wgha nzr ،6 ،t bdon
41. ynzr: alohyby ،3bdallh 3bdalr7mn ،7ol alastshra8 algdyd ،mrkz alb7othwaldrasat-al8ahra ،61 ،1435h